319

HARLEQUIN

روايات أحلام

# ذِكرى

أيما دارسي

www.elromancia.com
مـــــرمـــــوريـــــة

# ذكرى

هل جاء دور ماثيو كينغ ليقع في فخ الزواج ؟
ظن ماثيو أن لديه المناعة الكافية كي لا يقع في حب الكاتبة الرائعة الجمال . الحمراء الشعر . التي قدمت إلى القصر لكتابة تاريخ الأسرة . لكنه اكتشف أنه يعرف تلك المرأة من الماضي البعيد ...
نيكول ريدمان عاهدت نفسها أيضا على عدم الوقوع في شباك الشاب الوسيم البالغ الثراء ماثيو كينغ . لكن انجذابها القوي نحوه صدمها . وما صدمها أكثر اتهام مات لها بأنها استغلالية وصائدة ثروات .
زعزعت أفكاره هذه كيانها . لكنها لم تنجح في تجنبه . فكيف تستطيع تغيير رأيه فيها دون أن تفضح مشاعرها نحوه ؟

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان | 2500ل.ل | البحرين | 1دينار |
| سوريا | 75ل.س. | السعودية | 10ريال |
| الاردن | 1.5دينار | مصر | 8جنيه |
| الكويت | 750فلس | المغرب | 15درهم |
| الامارات | 10دراهم | تونس | 2دينار |
| قطر | 10ريال | عمان | 1ريال |

ISBN 9953-15-195-4

## أيمّا دارسي

كانت أيمّا دارسي ممثلة قبل أن تصبح زوجة وأمّاً. ولاحقاً أخذت تهتم بالرسم الزيتي، ولكنها اعترفت بأنها لم تفلح فيه... بعد ذلك جربت الهندسة المعمارية فوضعت تصميماً لمنزلها الواقع في «نيوساوث ويلز». ومؤخراً أصبحت كاتبة روايات رومانسية، وبحسب ما اعترفت: «أن كتابة الروايات العاطفية من أصعب الأعمال وأشدّها بعثاً للتحدي».

www.elromancia.com

## ١ ـ لن أدخل القفص

أمضى ماث كينغ يوماً رائعاً مع أصدقائه في ركوب الأمواج في نهر «تولي». ما أروع أن يكون المرء حراً غير مرتبط! وهكذا يمكنه أن يمرح ويتمتع بالألعاب وأن يقوم بأي شيء يحبه. في سن الثلاثين ما زال ماث يعتقد أن أمامه عدة سنوات خالية من الهموم كأعزب، قبل أن يصبح الزواج بنداً جدياً على جدول أعماله، وهو لن يقع ضحية لأي خطة قد تفكر فيها جدته لتزوجه.

خروجه اليوم مع أصدقائه لم يكن سوى عذرٍ كي لا يحضر غداء يوم الأحد الذي نظمته جدته بغرض تقديم آخر مرشحاتها للعائلة، مع أن ماث يدرك أن هذا مجرد تأخير لما هو محتم.. فعاجلاً أم آجلاً سيضطر إلى لقاء نيكول ريدمان.. لأنه لن يستطيع تجنبها خلال الستة أشهر القادمة؛ فقد تم التعاقد معها لكتابة تاريخ العائلة، وستقيم كضيفة في قصر «كينغ» طوال تلك المدة.. مع هذا، كان مصمماً أن لا يذعن لخطط جدته.

كان ماث على وشك الجلوس لمشاهدة التلفزيون قليلاً قبل أن ينام وهو يشعر بالرضى عن نفسه بعد تهربه من اللقاء الذي دبرته جدته اليوم، عندما رن جرس الهاتف، فابتسم بتسامح حين سمع صوت جدته على الطرف الآخر من الخط.

قالت الجدة: «آه.. لقد عدت إلى البيت بخير مائيو».

أدرك من كلامها أنها لا توافق أبداً على النشاطات الخطيرة التي يقوم بها فيخاطر بحياته دون سبب.

- أجل نونا! اطمئني لم أفقد أو أكسر أياً من عظامي

- لقد حالفك الحظ وليس الفضل لبراعتك بالتأكيد.

واستطردت إلى السبب الرئيسي لاتصالها.

- هل ستكون في مكتبك في الصباح؟

لا مجال للهرب فالعمل هو العمل وجدته تعرف قوانين عمله.. في منتصف الأسبوع يجول ماث على مزارع الثمار الأسترالية أما يومي الإثنين والجمعة فيقضيهما في شركة النقل التي أسسها بنفسه وطورها ليجتذب السيّاح

ردّ على السؤال الموجه بدقة: «أجل»

وانتظر الهجوم الساحق

- جيد سأرسل بكول إليك وأريدك أن تعطيها بطاقة ذهبية، لتتمكن من السفر بحرية في أي جولة من جولات باصاتك.

سأل ماث بجفاء شديد: «أليس معها سيارة؟»

وعرف أنه على وشك أن يواجه مناورة، لكنه احتج على أي حال.

- بلى لكن جولات الباصات ستعرّفها بصورة أفضل على المنطقة التي ستغطيها خلال جولاتها، كما يمكنها التقاط بعض المعلومات من السائقين خلال الطريق

- معلوماتهم هي مجرد شائعات أكثر منها وقائع نونا والهدف منها التسلية، لا المعلومات



- وهذا يضفي نكهة مميزة على منطقة كوينز لاند، مائيو. وبما أن نيكول لا تعرف «بورت دوغلاس» أو محيطها، لا أرى أن هذا مضيعة للوقت.

- من المؤسف أنك لم تستخدمي شخصاً يعرف المنطقة، فلا يضطر إلى البدء من الصفر.

- لدى نيكول ريدمان المؤهلات التي أريدها لهذا المشروع.

قال مجادلاً: «لكن المعرفة الجيدة بالمنطقة تبقى هي الأفضل».

وساوره الشك بأن يكون لهذه «المؤهلات» علاقة بكتابة تاريخ العائلة، ذلك أن ماث ليس بغافل عن الألاعيب التي تقوم بها جدته بهدف تزويجه. لم يلاحظ شقيقاه الأكبر منه سناً هذه الألاعيب، وها هما الآن متزوجان، لكنهما يعتقدان أنهما اختارا عروسيهما بنفسيهما. ومع أن ماث يجد زوجتي شقيقيه جينا وهانا امرأتين جميلتين.. لكنه الآن يعرف أن نونا اختارتهما لألكس وطوني قبل أن يلتقيا بهما.

من حسن حظه أنه سمع صدفة حديث الجدة المنتصرة مع اليزابيث كينغ في عرس طوني، حين عبّرت أيضاً عن أملها أن تتمكن من إيجاد زوجة مناسبة لحفيدها الثالث. والآن ليس لديه شك أبداً أن نيكول ريدمان هي المرشحة المختارة.

على الأرجح أن نيكول لا تعرف شيئاً عن الموضوع، لكن هذا لا يغير في اللعبة شيئاً.. فوصولها إلى المسرح العائلي ليس سوى تكرار لمسألة استخدام الجدة لامرأة شابة ينتهي بها الأمر أن تتزوج أحد الأحفاد. وبما أنه الوحيد الذي لم يتزوج بعد..

قالت الجدة برنّة صوت مزدرية: «الكثير من الناس يستطيعون



www.elromancia.com

القيام بالأبحاث وكتابة لائحة بالوقائع ماثيو، ولكن كتابة قصة بأسلوب شيق هي أمر آخر. المسألة بالنسبة لي في غاية الأهمية».

هذه هي إيزابيلا فاليري كينغ . . ذات شخصية مميزة ومخيفة حتى وهي في الثمانين من عمرها. وماث يحبها ويحترمها بشدة حتى إنه يكاد يستسلم لرغباتها . .

ـ آسف نونا، لا شك أن المسألة في غاية الأهمية، أنت تعرفين ما تريدين. وإذا كانت بطاقة باص ذهبية ستساعد في تسهيل الأمور، فسأكون سعيداً جداً بتقديم المساعدة.

ولن يأخذ هذا أكثر من دقيقة من وقته. فبمجرد لقاء قصير خلال ساعات العمل، سيرضي فضوله حول ماجعل نيكول ريدمان «مناسبة» له في نظر جدته.

ـ وأعتقد أنك قادر على توفير خرائط الطريق التي ستحتاجها حين ستتجول وحدها بعد أن تشرح لها مختلف مجالات واهتمامات مصالح العائلة، وكيف تصل إلى هناك بأفضل الطرق.

واستطاع ماث رؤية أن الدقيقة ستصبح نصف ساعة، لكن لا مجال لرفض هذا الطلب.

ـ حسناً . . سأحضّر كل شيء لها.

وسيوفر عليه هذا الوقت ويجنبه القيام بذلك وهي تقف بقربه. فلا شك أن هذا ما ترمي إليه جدته بمؤامرتها تلك.

ـ شكراً ماثيو . . متى سيكون مناسباً أكثر لنيكول أن تزورك؟

ـ أوه . . لنقل في العاشرة والنصف.

وانتهت المكالمة على هذا الاتفاق، وظل ماثيو لوقت طويل بعد ذلك، يشعر بالتسلية لتفكيره بلعبة جدته الماكرة. . فقد بقيت ملتزمة بالتحدث عن العمل دون محاولة دفعه إلى إبداء أي اهتمام شخصي . .



بل خططت ببساطة للقاء مبرر معقول بينهما.

أيمكن أن يكون مخطئاً بخصوص هذه المؤامرة؟

لا . . فهذه هي طريقة عملها.

كانت الجدة قد استقدمت جينا ترليزي، وهي مغنية أعراس، في الوقت الذي كان فيه أليكس يخطط للزواج من امرأة لا تعجبها البتّة. وعلى ماث أن يعترف أنه هو أيضاً لم يُعجب بميشيل بانكس، لذا فقد شعر بالارتياح لزواج أليكس من جينا بدلاً منها. مع ذلك، فإنه واثق أن يد جدته وتوجيهاتها كانت خلف ذلك اللقاء الذي أوصل للنتائج المرجوة.

ثم أوقعت طوني في الفخ بالطريقة نفسها. فقد اختارت هانا أونيل لتكون كبيرة الطهاة الجديدة في مركبه الثمين بغض النظر عن مؤهلاتها كطاهية. وكان طوني قد ترك لجدته مهمة إجراء مقابلة العمل وتلقي الطلبات والاختيار، ما سمح لها أن تواجهه بالأمر الواقع الذي حدد قدره. فهو لم يكن قادراً على تجاهل قدرات هانا الأخرى والتي كانت واضحة للعيان، وهكذا واجه طوني العد العكسي في مدة زمنية قصيرة.

هكذا تم زواج شقيقيه من العروسين اللتين اختارتهما لهما جدته!

ويبدو أن دوره قد حان الآن.

لا بد أنها اختارت نيكول ريدمان من أجله، وهو يتساءل الآن أي نوع من الذخائر سترجمه بها لتشده إلى الزواج؟ لا شك أن هذا سيزيد حميمية لقاء الغد.

وابتسم ماث باستخفاف وهو يدير جهاز التلفزيون. مهما يكن الأمر فهو منيع ضده، ولن يكون هناك عقد شهر عسل متصل بالعقد

الذي أبرمته نيكول ريدمان مع جدته.. فما من طريقة ستجعله مستعداً للزواج.

***



## ٢- الشيطان.. في رجل

توقفت نيكول في أعلى السلم الموصل نزولاً إلى شارع «وولف» ونظرت خلفها نحو قصر كينغ. راحت تفكر متعجبة كيف تم بناء هذا القصر في مثل هذا المكان أيام الرواد الأوائل. «نورث كوينز لاند» الإستوائية بعيدة جداً عن روما.. مع ذلك فقد تقيد فريدريكو ستيفانو فالبري والد إيزابيلا بإرثه الإيطالي وهو يبني هذه الفيلا المذهلة الجمال على قمة تلة تطل على بورت دوغلاس

ربما سميت هذه الفيلا بالقصر بسبب البرج المربع الذي يطل على الجهات الأربع. لكن المدرجات والنوافير مستوحاة من فيلات روما، فكلها مبنية من الإسمنت المسلح.. ولا شك أنها بدت عملاً فخماً في تلك الأيام. ويبدو أن فريدريكو الذي شهد تدمير مباني بورت دوغلاس الخشبية بسبب إعصار عام ١٩١١، قرّر أن يبني منزلاً متيناً يمكنه الصمود في وجه الأعاصير

انتقل تفكير نيكول من البيت إلى العائلة.. إلى الحفيدين اللذين التقت بهما بالأمس. فقد بدا كلاهما من النوع الذي يملك القدرة على التغلب على أية مشكلة، ليخرج منها منتصراً. كان الإحساس بالإرث العائلي والتقاليد واضحاً لديهما، ولا شك أنهما ورثاه عن جدتهما غير العادية سيكون مثيراً للاهتمام معرفة ما إذا كان أخاهما الأصغر من



www.elromancia.com

الطراز عينه.

أليساندرو، أنطونيو، وماثيو.. ثلاثة أشقاء يحملون إرث الماضي إلى الحاضر ويضيفون مستويات أعلى إلى المملكة التي أسسها فريدريكو بعد أن غادر إيطاليا ليبدأ حياة جديدة في أستراليا عام ١٩٠٦.. عائلة مذهلة بتاريخ مذهل، وحاضر مذهل مماثل. واستدارت نيكول مبتعدة عن القصر لتتابع سيرها نحو المكاتب الرئيسية لشركة كينغ للسياحة.

إنها العاشرة صباحاً... شعرت بحرارة الشمس القوية تخترق قبعتها العريضة الجوانب المصنوعة من القش. من السهل جداً أن يصاب المرء بضربة شمس في هذه المناطق الاستوائية. سارت بتكاسل في ظل الأشجار التي تحيط بالطريق فيما هي تنزل من التل إلى مركز الأعمال الرئيسي.. إذ عليها حماية بشرتها الفاتحة اللون من حروق الشمس، فالعمل خارج المنزل في بلد يتميز بشمسه الساطعة باستمرار لا يناسب حمراوات الشعر..

من حسن حظها أنها تحب الكتب، فالقراءة والكتابة كانت دوماً مصدر سعادة لها.. بحيث لا يشكل البقاء داخل المنزل صعوبة بالنسبة إليها. كما أن عيشها مع والدها في السنوات الأخيرة من حياته جعلها تفضل العمل ليلاً.. ويبدو أن عليها تغيير هذه العادة خلال عملها مع إيزابيلا فاليري كينغ. على أي حال، هذا الأمر ليس بالغ الصعوبة، فالأيام في بورت دوغلاس تتميز بسحر خاص: شروق الشمس فوق المحيط، نور النهار الساطع الذي يجعل الألوان أكثر إشراقاً. فاللون الأخضر مثلاً لا يبدو في أي مكان آخر كما هو في سيدني. وكذلك الأحمر والبرتقالي والأصفر في الزهور الإستوائية.. إنها تبدو في غاية الروعة.



كل شيء هناك مختلف.. وبالرغم من ارتفاع درجات الحرارة فإن المطر ينهمر بعد ظهر معظم الأيام.. كل هذا يجعل المرء قريباً من الطبيعة فيعيش في تناغم معها. أحست نيكول أنها بعيدة جداً عن حياة المدينة، وكأنها انتقلت إلى عالم آخر يعمل ضمن مقياس خاص به. عالم يمكن للمرء أن يعتاد عليه بسهولة.

ها هي.. تمشي بتكاسل وقد انتعلت حذاء خفيفاً من دون كعب ومن دون جوارب، كما ارتدت فستاناً أصفر اللون من دون أكمام ذا أزرار من الجهة الأمامية، يلتف على جسمها بخفة. وقد وضعت على رأسها قبعة من القش تزيّنها زهرة دوار شمس صفراء كبيرة.. ولا يهم ما يفكر الآخرون بها، فهنا ليس لديها تلامذة ولا زملاء يزعجونها ببرامجهم السياسية، ولا تعليق حاد على الكتاب الذي كتبته عن سيرة والدها.

إنها الحرية..

وابتسمت سعيدة بهذا الإحساس. وكأنها تبدأ حياة جديدة، مع أنها في الواقع ستقوم بأبحاث عن الحياة القديمة، وذلك خلال الأشهر الستة القادمة. ستقوم بكتابة تاريخ لم تعشه، تاريخ عائلة كافحت ونجحت ولا تزال مزدهرة. إنها العائلة التي لم تكن لها أبداً، ولا عرفتها يوماً.. وهذه نقطة إيجابية أخرى.. اكتشاف الإنتماء الحقيقي لهذه العائلة وتتبّع الخطوط الطويلة لنموها. وصلت إلى شارع ماكروسان، وسارت فيه إلى أن جدت مبنى «كينغ» حيث أليساندرو أو أليكس، كما يناديه الجميع إلا جدته وروزيتا مديرة المنزل الإيطالية المحبة كالأم.. لقد تمكن أليساندرو من إدارة مؤسسة لتطوير الاستثمارات والأملاك إضافة إلى إشرافه على كل الأعمال المتعلقة بمزارع قصب السكر.

في آخر شارع وارف يقع الميناء، حيث يدير أنطونيو أو طوني خط مراكب كينغ الذي ينقل السياح إلى الحاجز الصخري العظيم. وكان هذا مشروعه الخاص، عدا عن إدارة مزارع الشاي الخاصة بالعائلة. فكرت نيكول أن تتفقد شركة «كينغ تربير» بعد لقائها مع ماثيو أو ماث.

استدارت إلى شارع أوين الذي يؤدي إلى محطة الباص وإلى مكتب «كينغ تورز» الرئيسي. كانت شركة النقل هذه حلم الطفولة بالنسبة إلى ماث. وتشمل رحلاتها السياحية مزارع الفاكهة الإستوائية، وهي امتداد للمزارع الإستوائية التي هي حصته من المسؤولية العائلية.

من المثير للاهتمام أن أحداً من الإخوة الثلاثة لم يكتفِ ببساطة بما ورثه، مع أن بإمكانهم أن يفعلوا هذا نظراً للازدهار الحالي للمزارع. ولا شك أن التنويع في الأعمال أفضل بكثير. لم يساور نيكول الشك بأن دم التفوق يجري في عروق هؤلاء الرجال. فهم مفطورون على التحدي والانطلاق نحو المزيد الذي يدفعهم إلى الأمام، والرغبة في اقتحام مناطق جديدة.

لاحظت أن أليكس وطوني كينغ يختلفان جداً عن كل رجال المدينة الذين عرفتهم. فقد كانا متمدنين جداً، أخلاقهما عالية، مع طبع رجولي واضح وربما عدواني بطريقة ما.

أيمكن للأخ الثالث أن يكون من مستواهما؟

خطت نيكول إلى مكتب «كينغ تورز» الرئيسي بنشاط.. رأت شاباً حسن الوجه، في أواخر سن المراهقة، يجلس وراء مكتب. رفع الشاب رأسه من عمله المكتبي، ونظر إليها نظرة شاملة سريعة، ثم رحب بها مبتسماً: «أنت الآنسة ريدمان؟».

ـ أجل.

أشار إلى باب الذي إلى جانب مكتبه: «ادخلي من هنا إلى مكتب



الرئيس. لقد حضّر لك كل الخرائط».

ولمعت عيناه الزرقاوان كأن ما قاله يذكره بنكتة خاصة: «لقد حدّدت لك كل المواقع الرئيسية بنفسي بحيث لا يمكن إلا أن تلاحظيها».

وهذا ما دفع نيكول للتساؤل عما إذا كان يفترض أنها أسوأ قارئة خرائط في العالم. وسرعان ما فتح لها الباب بحيث لم يتسع لها الوقت للتحدث معه. وأعلن قبل أن تفكر بانتزاع قبعتها: «الآنسة ريدمان».

وجدت نيكول نفسها داخل مكتب ماث كينغ وقبعتها لا تزال على رأسها، وشجاعتها مضعضعة تماماً لمواجهتها هذا الرجل إنه ليس مثل أخويه أليكس وطوني. فهذا الأخ وسيم بشكل ماكر ولو أن الشيطان نفسه يفتش عن الإغواء فبإمكانه التجسد في جسمه

بدا شعره شديد السواد، ولامعاً جداً خصلاته مشدودة معربدة. وكأنها تدعو المرء لتحسسها أما قسمات وجهه الشديدة الرجولية فلم تكن أخف وطأة، ما أضفى على ماث جاذبية خبيثة شريرة بدت الرموش الطويلة الكثيفة فوق عينيه بلون الشوكولا القاتم، أما بشرته السمراء فذات لمعان ناعم كل ما في هذا الرجل ينبض بالقوة والرجولة

وقف من خلف مكتبه وسار نحوها بدا طويلاً، ضخماً، يرتدي قميصاً أزرق اللون وبنطلوناً كاكياً ولمعت أسنانه البيضاء، فأحست نيكول كأن الجو بات ينقصه الأوكسجين، واضطرب قلبها وشعرت كأن صدرها أصبح فجأة فارغاً دفعتها غريزتها الدفاعية كي ترفع يديها لتمسك قبعتها، وتنزلها أمامها كدرع يحميها من صدمة تقدمه إليها جعلته حركتها هذه يتوقف في منتصف الطريق، فاحمر خدا نيكول حرجاً. لا شك أن حركتها الغبية هذه بدت دون رشاقة، بل عملاً

أخرقاً، وعلى الأرجح أنها شعثت شعرها لأنه كان يحدق به كانت نقطية بسيطة تشد حاجبيه معاً. مع نزول نظراته إلى نظراتها، بدت عيناه حادتين لامعتين سوداوين كشعره، تتميزان بقوة اختراق جعلتهما عدوانيتين بحيث أخذت نيكول تطوي أصابع قدميها

ساورها إحساس مقلق بأنه يبحث عن دليل لمعرفة سابقة بها وأجبرها هذا على استجماع شجاعتها لتقول شيئاً ما، ولو أن لسانها تحرك ببلادة وجاهدت لدفع الكلمات: «أرسلتني جدتك أنا نيكول ريدمان».

التوت شفتاه بسخرية «شعر أحمر سامحيني لتحديقي بك لكن هذا الشعر ليس عادياً ولقد فاجأني»

وتقدم إلى الأمام ومد يده: «ماث كينغ»

فكت أصابع يدها اليمنى عن القبعة لتلاقي يدها قبضته ونمكنت من القول بتصلب: «أنا مسرورة بلقائك»

أرسلت لمسته صدمة في كيانها وكادت تفقد السيطرة على نفسها وانطلقت شحنة دافئة في ذراعها، تسببت في أن يضخ قلبها بقوة أكبر هبطت نظراته إلى فمها. تدرسه وكأن فيه أسراراً لا تكشف عنها وضاقت حنجرتها، ما جعل المزيد من الكلام مستحيلاً

ـ نيكول ريدمان

ردّد اسمها ببطء وكأنه يتذوق طعمه ونكهته وعادت نظراته إلى نظراتها، وقد لمعت عيناه لمعاناً ساخراً: «هذا اللقاء جاء مناخراً. لكننا دون شك سنتعارف عما قريب»

لا بد أنه يشير إلى غيابه عن الغداء العائلي بالأمس مع ذلك فالنظرة التي في عينيه كانت تلمّح للمزيد شعرت بالإضافة إلى توترها الجسدي بتشوش ذهني وأحست بارتياح شديد حين سحب



يده واستدار ليحضر لها كرسياً ويضعه في مواجهة كرسيه إلى الجانب الآخر من مكتبه.

ـ اجلسي.

كانت نيكول ممتنة للدعوة، فقد أحست أن ركبتيها تحولتا إلى هلام وأن ساقيها ترتجفان كذلك.. وأخيراً تمكنت من أن تقول: «شكراً لك»

غاصت في المقعد وهي تحاول بشراسة أن تستعيد بعضاً من رباطة جأشها.

لم تكن لديها فكرة عما هو عليه ماث كينغ مع أنها التقت بأخويه بالأمس، وكلاهما وسيم جداً وتحيط به هالة من القوة. إلّا أنها تمكنت من النظر إليهما بموضوعية، فلماذا لا تنظر هكذا إلى هذا الرجل؟ لماذا تشعر بأنها متأثرة شخصياً به؟

هذا جنون.. إنها في الثامنة والعشرين، وسبق أن التقت بالمئات من الرجال، وربما الآلاف.. فلم تتأثر بأي منهم بهذه الطريقة. ربما تعاني من ضربة شمس دون أن تدري.. ما إن فكرت بالأمر حتى شعرت بدوار بسيط، بحرارة مرتفعة تغزو جسمها. كل ما يلزمها هو الجلوس لدقيقة أو دقيقتين لتكون على ما يرام.

وضعت حقيبة الكتف على الأرض إلى جانب المقعد، ثم وضعت قبعتها في حجرها وركزت نظرها على زهرة دوار الشمس. في الوقت الذي وصل فيه ماث كينغ إلى مقعده واستقر فيه للتحدث معها، كانت قد أصبحت مستعدة للنظر إليه ليتعارفا بشكل طبيعي.

كل ما تريده منه هو بطاقة ذهبية لجولات الباص السياحية، وخرائط الطريق التي وضع مساعده عليها الإشارات. ولن يأخذ هذا أي وقت يذكر أبداً... حديث مهذب متبادل، وستخرج من هنا.

لكن يديها كانتا ترتجفان، ولم تستطع تثبيتهما مطلقاً. كما أن قلبها ما زال يخفق بقوة.

على قلبها أن يهدأ في النهاية.. أما هي فعليها أن تكون أشد حذراً في هذه الحرارة الإستوائية. ربما أخطأت بالسير تحت أشعة الشمس. حسناً إنها الآن سترفع رأسها وتبتسم وسيكون كل شيء على ما يرام!

***



## ٣ ـ عابرة في الليل

أكد ماث لنفسه متجهماً وهو يسير ببطء حول مكتبه إلى مقعده أن لا مجال للالتباس في ما تفعله هذه المرأة هنا؛ من المفترض أنها تساعد جدته في مشروع كتابة تاريخ العائلة.

هزت حمراء الشعر هذه ذاكرته غريزياً، وأعادتها إلى عشر سنوات مضت، وتحديداً إلى «نيوأورلينز» في الليلة التي سبقت عيد «البربارة» في تلك المدينة غير العادية. الوجه الدقيق الملامح، البشرة البيضاء كالثلج، العينان الكبيرتان المعبرتان بلونهما البني، الحنايا الممتلئة المثيرة لفمها.. مرّ كل شيء أمامه في لمحة بصر كشريط سينمائي. امرأة طويلة شابة، ترتدي عباءة سوداء مخططة بالساتان القرمزي، شعرها الأحمر الطويل مسترسل بحرية، ولم يكن متراجعاً إلى الوراء مبتعداً عن وجهها كما هو اليوم.

يومها، شاهدها خارج متجر الكاهن «زومبي» لبيع التعاويذ السحرية، وهي تلقي على مجموعة من السياح محاضرة، فراح يراقبها ويصغي إليها. أعجب بظهورها المسرحي وقد أسرت المجموعة بحديثها المنفتح عن التاريخ القديم، خلال جولة سياحية سيراً على الأقدام. مجرد سماعها تتكلم اللكنة الأسترالية أضاف الكثير إلى إغوائها.



www.elromancia.com

انجذب لفترة وقد ذهل بها وبأدائها.. وكان يود أن يبقى، لكن الإعجاب بالجولة سرعان ما تلاشى بالنسبة للأصدقاء الذين كان برفقتهم، حيث تحركوا إلى أحد المقاهي في الجزء الفرنسي من المدينة.

على أي حال، لقد تذكرها بوضوح.. الشعر، الوجه، والبشرة الشاحبة التي كانت تزيد من تأثير قصصها الخرافية. ما دفعه إلى التساؤل: أي قصة حاكتها لتحصل على هذا العمل من جدته؟

أيمكن أن تكون قد زوّرت مؤهلاتها؟ امرأة ماكرة ترمي صنارتها للحصول على ستة أشهر من الإقامة المجانية؟ وهل تفحصت جدته تلك المؤهلات؟ أم أنها لم تهتم بها، نظراً لأن هدفها الأساسي هو أن تجد له عروساً؟

غمرته موجة غضب زادت من حدّة هذا اللقاء المتوتر.. لقد خُدعت جدته بهذه المرشحة للزواج، لا يستطيع التفكير بها إلا تحت اسم «عابرة في الليل». مع ذلك، لا شك أنها ذكية جداً ومسلية.

ارتمى في مقعده، وهو يقاوم رغبته بأن يدفع المقعد للدوران به كالدوامة، كتحية لدوامة الزواج الذي تنوي جدته دفعه إليه. حملق بالمرأة الجالسة قبالته.. لماذا هي؟ ماذا ترى جدته كمميزات خاصة تجعل هذه المرأة مناسبة كزوجة له؟

شعرها الأحمر؟ إنه بالتأكيد يناسب حياة الليل في نيواورليتز. لكن هنا، في المنطقة الإستوائية؟ ستنشوي هذه البشرة البيضاء الشاحبة في بورت دوغلاس.. إنه جنون كامل!

عليه أن يعترف أن لون بشرتها، ونعومتها، كذلك نعومة صوتها، فيها جمال مميز فريد من نوعه. هكذا فكر منذ عشر سنوات، ولا يزال الأمر صحيحاً الآن. لكن، من الواضح تماماً أنها لا تنتمي إلى هذه



البيئة، أما عن إمكانية قضائها حياة كاملة هنا، فهذا قطعاً يتجاوز الواقع.

بدت في غاية الاحتشام. جلست بجمود، ركبتاها مضغوطتان معاً، والقبعة على حجرها، وعيناها إلى الأسفل. وهي تبدي تواضعاً مناقضاً تماماً للدور الذي لعبته منذ عشر سنوات. بدا صدرها صغيراً مستديراً بأناقة، كذلك كتفاها. ومع أنهما نحيلتان مثل بقية جسمها لكنها لم تكن تبدو هزيلة. ومن المثير للاهتمام أنها ترتدي اللون الأصفر الذي لا يُعد لوناً متواضعاً.

إنها تلعب لعبة ما معه.. هكذا قرر ماث. رغبته بأن ينتزع المبادرة منها تغلبت على بيته الأصلية بأن يتخلص منها بأسرع وقت ممكن ومال إلى الخلف في مقعده شعر بالارتياح لأنه يعرف أن لا فرصة لها في أن تتذكره، فهو وأصدقاؤه كانوا يرتدون الأقنعة تلك الليلة، وهذا جزء من الليل الصاخب في احتفالات عيد «البربارة».

بدأ يقول «عرفت أن هذه أول زيارة لك إلى الشمال؟»

هزت رأسها، ورفعت نظرها ببطء إليه: «جئت قبل شهر من الآن لإجراء المقابلة مع السيدة كينغ».

كانت عيناها قلقتين وأحس غريزياً أنها حذرة منه. وتساءل عن السبب· أهي حاجة لإخفاء الحقيقة عن نفسها؟ أتنظر إليه كمصدر خطر وتهديد لملاذها الدافىء في القصر؟

ودفعه الفضول فابتسم وهو يسأل ممازحاً: «ألا يبدو لك أن قضاء ستة أشهر في القصر هو بمثابة حكم بالسجن؟».

وبدا أن الفكرة أجفلتها: «أبداً، ولماذا تعتقد هذا؟».

ـ أوه، ستلتزمين بقضاء معظم الوقت مع جدتي، كما أن الإحساس بالعيش في مكان رومانسي قديم لن يعوض عن الأشياء التي

ستفتقدينها أو الأشياء التي ستضطرين إلى تحملها.

وراقب ردة فعلها على كلماته.

مال رأسها إلى جانب واحد وكأنها تقيّمه: «ألا تتمتع أنت برفقة جدتك؟».

رد بجفاء: «لم أقصد ذلك بالضبط».

ـ أنت لم تأت إلى غداء العائلة بالأمس.

ـ صحيح.. فأنا لا أسمح لجدتي بأن تتحكم بحياتي. كان لدي نشاط آخر، ولم أجد سبباً لإلغائه.

وصمت قليلاً، لكي يتفحص شخصيتها أكثر. ثم قال. «هل أحسست بالإهانة لأنني لم أمتثل للأوامر؟».

ـ أنا؟ بالطبع لا.

ـ إذن لماذا تظنين أنه كان عليّ الحضور؟

ـ لم أظن شيئاً، فكرت فقط.. أنك قلت..

توقفت وقد شعرت بالارتباك.

ـ كنت ببساطة أشير إلى أن ستة أشهر تحت سقف واحد مع سيدة في الثمانين من عمرها قد تجعل قصر كينغ كالسجن لامرأة معتادة على جاذبية حياة المدينة.

ابتسمت قليلاً: «في الواقع، أجد كبار السن أكثر إثارة للاهتمام من الأصغر سناً.. لقد عاشوا فترة أطول وبعضهم كانت حياته مذهلة. ولا أتصور أنني سأسأم من رفقة السيدة كينغ».

ورمت عيناها نظرة تشير إلى أنها تستطيع بسهولة شديدة أن تسأم، من رفقته، مما دفعه إلى التعليق ساخطاً: «إذن أنت مستعدة لدفن نفسك في الماضي وإلغاء حياتك الخاصة خلال تنفيذ المشروع؟».

شعرت في داخلها بالتحدّي: «لطالما وجدت التاريخ ساحراً



وأعتقد أن هناك الكثير لتتعلم منه. ولا أعتبر أي شكل من التعليم مضيعة للوقت».

ـ وجهة نظر أكاديمية جداً.

تساءل ما الذي تعلمته من سرد القصص الخرافية. ورد على تحديها: «يقال إن التاريخ يكرر نفسه. فما الذي يميّزه حقاً؟ الطبيعة البشرية لا تتغير».

لم ترد.. ولعدة لحظات نظرت إليه مباشرة في صمت مشحون بالعدوانية. أرادت أن تهاجمه، كما أن شعوره كان مماثلاً، لكن جدته كانت تقف بينهما.

ـ هل أنت ضد هذا المشروع ماث؟

جاء السؤال هادئاً، بارداً، كطلب مباشر لمعرفة موقفه.

وردّ بسهولة: «أبداً. أعتقد أن كتاباً من هذا النوع سيكون مثار اهتمام الأجيال القادمة في عائلتنا. وأعتقد أيضاً أنه يعني الكثير لجدتي أن تسجل حياتها وتطبعها، كآخر شهادة تستحقها بجدارة».

ـ وهل أنت ضد قيامي أنا بهذا الأمر؟.

إلى الهدف مباشرة! عليه الاعتراف بذلك لنيكول ريدمان. لديها بالتأكيد الجدارة لتضع أوراقها على الطاولة.. وسأل: «ولماذا أعترض؟».

ـ لست أدري.. عليك أنت أن تخبرني.

ذكية.. لقد حوّلت السؤال إليه. ورد عليها: «كم عمرك نيكول؟».

ـ ثمانية وعشرون.

ـ وهل أنت خارجة من علاقة سيئة؟

ـ لا.

ـ ولست مخطوبة الآن؟

- لا.

- ألا تبحثين عن علاقة؟

- لا.

- ولماذا لا؟

- ولماذا أكون؟

- ظننت هذا أمراً عادياً بالنسبة لامرأة في مثل عمرك.

لفحت الحرارة خديها، واحترقت عيناها بالكرامة والفخر وهي ترد: «إذن، أعتقد أنني لا أتناسب مع فكرتك عما هو «عادي»».

لم يترك له ذلك شيئاً ليقوله. وهو غير مستعد لإطلاق ذخيرته المخبأة إلى أن يعرف بعض الوقائع عن ظروفها الأكثر حداثة فالكثير يمكن أن يحدث في عشر سنوات. وإذا كانت تقول الحقيقة عن عمرها، فقد كانت يومها، وهي في نيوأولينز، في الثامنة عشرة. والشباب المجنون يمكن أن يليه استقرار أكثر صرامة.

من الواضح أنها تملك مواهب جمّة حتى خططت جدته لزواجه منها.. غير مرتبطة، وناضجة بما يكفي لتجد أن الزواج فكرة مقبولة، كما أنها بالتأكيد جذابة، إذا كان المرء يحب الشعر الأحمر.

لكن لا يحبه الجميع. فلماذا إذن اختارت جدته حمراء شعر له؟ لماذا لم تختر له امرأة شقراء أو سوداء الشعر؟ إنه حتى لم...

وهبط عليه الرد فجأة. في حفل زفاف طوني، كانت تريش شقيقة هانا بنية الشعر، وبما أنها إشبينة العروس وهو إشبين العريس، فقد أمضيا وقتهما معاً خلال الحفلة تريش عارضة أزياء محترفة، طويلة ونحيلة. ومع أنهما فرحا كثيراً معاً في حفل الاستقبال، لكن لم يكن هناك تواصل جدي، بل مجرد عبث خفيف سعيد تمتع كلاهما به فهل قرأت جدته الكثير في هذا وقررت أن ترشح هي النوع الذي يحبه من



النساء؟

هز رأسه وافترضت نيكول أن الحركة الساخطة موجهة إليها، وقالت: «هذا مشروع أردت القيام به».

ونظرت إلى عينيه تسخر من تأكيده على أن البحث عن رجل هو من أولوياتها: «فهمت من السيدة كينغ أنك أسست هذه الشركة لأنك أردت القيام بهذا العمل، وأنك طورت سوقاً للفاكهة الاستوائية. وأنا واثقة أن لديك أسبابك لاختيار هذين الاتجاهين في حياتك، كما أراهن أن لا دخل لهما بنقص المال لديك أو الرغبة في علاقة مع امرأة.

لقد نالت منه بهذا.. إنها ضربة ذكية!

قال بابتسامة فاترة: «حسن جداً، أتمنى أن تشعري بالرضى في ملاحقتك للماضي، كما وجدته أنا في التأسيس للمستقبل».

ردت بابتسامة حلوة مبالغ فيها: «أنت محظوظ جداً لوجود ماض لك تستطيع الانطلاق منه».

زلّة لسان! بدا ذلك واضحاً في عينيها. وعلى الفور تمسكت بديهته بما سمع ورمى تفسيراً سريعاً له: لقد أتت من لا شيء وليس لها اتجاه مستقبلي. وهي تتحرك على أجنحة الفرص، من دون أن يكون لها أية جذور، ولا عائلة تعطيها أي تماسك حقيقي.. أم أنه يفترض الكثير من تعبيرها العابر؟

سألها: «ماذا عن عائلتك؟»

ردت بصرامة تؤكد انطباعه: «ليس لي عائلة».

- أنت يتيمة؟

شدت على أسنانها بقوة ثم استبعدت هذا الوصف لها: «أنا راشدة ومسؤولة عن نفسي. وقبلت بمسؤولية إتمام هذا المشروع مع السيدة

كينغ. وتم توقيع عقد لستة أشهر بهذا الخصوص. فإذا كان لديك مشكلة بسبب تعييني لهذا العمل...».

أكّد لها: «هذا شأن يخصّ جدتي. وليس لدي النيّة في التدخل».

ولو أن حصول جدته على مبتغاها فيما يتعلق بالجانب التاريخي من الأمر سيبقى عرضة للسؤال. على أي حال هذا لم يكن مشكلته، وهو لا ينوي أن يجعله كذلك.

قالت: «وأنا لا أنوي التدخل في شؤونك كذلك».

ووقفت عن كرسيها بتصميم مظهرة بوضوح رغبتها في الخروج بسرعة: «قال مساعدك إنك جهزت لي خرائط الطريق».

اللعنة! لم يعد لديه أي عذر لاستبقائها، وعليه الآن أن يجاريها. كبت وخزة الإحباط ووقف على قدميه، وراح يقنع نفسه أن أمامه ستة أشهر ليصل إلى حقيقة هذه المرأة، لذا لا داعي للقلق من إفلاتها من المصيدة هذا الصباح. التقط ربطة الخرائط الموضوعة إلى جانبه على المكتب، ووضعها إلى جانبها، ثم قال مكرهاً: «ها هي! ستتمكنين بواسطتها من إيجاد طريقك إلى كل نقطة لها أهمية تاريخية».

ـ شكراً لك!

حملت حقيبتها عن الأرض ووضعتها على المنضدة لتضع الخرائط فيها، وتعابير وجهها تحمل رفضاً لأي شيء ما عدا الهدف الذي جاء بها إلى هنا.

لم يُعجب ماث الإحساس بأنها أوقفته عند حده، فهو لم يكن بعد على استعداد لأن يدعها تذهب... لأن يدعها تكسب... التقط بطاقة السفر الذهبية التي كان يضعها إلى جانب الخرائط واستدار حول مكتبه، وهو ينوي سلوك طريق آخر في اللعب. مد يده إليها: «وهذه ستسمح لك بالسفر مجاناً في أي من الجولات السياحية».



تقدمت نيكول نحوه بحدة فوقعت خريطتان من يدها. وفي محاولتها المتعثرة السريعة لالتقاطهما أوقعت قبعتها، وانحنى كلاهما معاً لالتقاط القبعة. كاد رأساهما يتصادمان، عندئذٍ تراجعت إلى الوراء تاركة ماث يستعيدها. التقط القبعة ثم استقام ليجد أنفاسها متسارعة وعينيها متسعتين بذعر، بسبب قربها منه. تملك ماث إحساس بأنه علق في عاصفة من المشاعر قادمة إليه مباشرة من نافذة تصل إلى أعماق روحها. وقف مسمّراً لوقت قصير وهو يحدّق بها مذهولاً بتأثيرها الذي أفقده توازنه تماماً.

أراد أن يعانقها، أن يجتذب منها الأسرار التي تخفيها عنه.. أراد أن يربطها به إلى أن تتخلى عن كل شيء كانته. الحاجة للمعرفة أخذت تضج في رأسه، وأخذت الإثارة تسير في عروقه بسرعة لتجعل قلبه يضرب بسرعة أكبر.. واندفع فيه إحساس يجعله يجبرها على البقاء بقربه.

وخرجت الكلمات هامسة من بين شفتيها: «شكراً لك».

أجبرته كلماتها على العودة إلى الواقع، وصرفت من تفكيره تخيلاته المجنونة هذه هي المرأة التي اختارتها جدته له، ولن يقع في فخها ومد يده بالبطاقة الذهبية

ارتجفت يدها وهي تأخذها منه، وحاول ماث كبح أحاسيسه المجنونة. أتراها أدركت ما يشعر به؟ أتراه أثّر فيها؟ جزء منه أمل هذا بوحشية، فيما أراد جزء آخر بوحشية أكبر، أن ينكر وجود أي قوة تجاذب بينهما، سواء كانت من جانبها أو من جانبه.

راقبها وهي تدس البطاقة والخرائط في حقيبتها. كانت رموشها منخفضة ورأسها محنياً، وقد بدا احمرار شعرها نابضاً بالحياة. حتى إنه اضطر إلى الشد على يديه لمنعهما من الامتداد لتلمسه. وبدلاً من

ذلك راح يشد على أطراف قبعتها، وكانت لا تزال معه. لكن من الجنون حتى أن يفكر بأن يجعلها رهينة قبعة.. يجب أن يتركها تذهب، لأن أي تصرف آخر سيضعه حقاً في مقعد الخاسرين.

تمكنت من الابتعاد قليلاً لتزيد من المسافة بينهما ثم استدارت لتواجهه ونظراتها ترتفع إليه بتوسل منزعج.

ـ قبعتي..

يجب أن يعطيها إياها وهذه أبسط استجابة. لكن نزعة عدوانية دفعته إلى أن يضع تلك القبعة على ذلك الشعر الأنيق بنفسه، وكأنما وضع الغطاء على الإغواء سيجعله يبتعد. خطا إلى الأمام وفعل هذا بالضبط. وضع القبعة على رأسها، وحرص على أن تكون وضعية زهرة دوار الشمس في موقعها المناسب كما كانت حين دخلت يريدها أن تبقى بالنسبة إليه امرأة مجهولة، لا يريد أي علاقة شخصية قريبة بينهما

غير أن جسمه كله كان يشعر بها، قربها منه، تحول جسمها، هشاشتها الأنثوية، لون زهرة دوار الشمس الأصفر الذي يذكره بفستانها، ووقوفها بلا حراك أمامه كأنها خاضعة لسيطرة ما كل هذا أثار مشاعره نحوها

ـ شكراً لك.

وخرجت أنفاسها بسرعة، أكانت تحبسها؟

وأثارته الفكرة لقد ربح شيئاً منها وفي موجة انتصار مسكرة تراجع إلى الوراء مبتسماً «عليك أن تكوني حريصة من الحرارة هنا»

وعكس خداها حرارتها الداخلية التي أشعلته وهو يتحرك ليفتح لها الباب. سارت إلى الأمام بتصلب، ونظرتها مركزة على الباب المفتوح ثم خرجت بعد أن حيته بهزة من رأسها

ابتسم ماث وهو يقفل الباب خلفها



لا شك أنه أثار الاضطراب لدى نيكول ريدمان، ما جعله يشعر بالإثارة.

إنه لا ينوي الزواج منها كما أكد لنفسه وهو يتجه عائداً إلى مكتبه... فالزواج ليس على جدول أعماله، لكن بضعة ليال مع آنسة نيوأورلينز الغريبة الأطوار لن تضر. ولِمَ لا، طالما أنها تحب المناطق الاستوائية؟ بالطبع، ليس تحت أنف جدته، لكن إذا كانت نيكول ستستخدم جولات الباص، فعاجلاً أم آجلاً ستقوم برحلة إلى «كاوري كينغ بارك» حيث تنمو أصناف الفاكهة الإستوائية.

سيبذل جهده ليكون هناك ذلك اليوم. وسيرى عند ذلك كيف يشعر نحوها.

***

## ٤ ـ لقاء لا بد منه

كعادتها، تناولت إيزابيلا فاليري كينغ، الشاي بعد الظهر قرب النافورة. وبدا صوت الماء المتدفق مهدئاً، كما أن نسيم البحر في مثل هذا الوقت من النهار يبدو لطيفاً ما خفف من وطأة الحرارة. تفضّل إيزابيلا قضاء معظم الوقت في الخارج لتشعر بالعالم من حولها، بألوانه وسحره. وهذا يمنحها الإحساس بأنها حيّة وبأنها جزء من ذلك العالم المتجدد باستمرار، تماماً كالمرأة الشابة الجالسة معها نيكول ريدمان..

إنها مختلفة جداً عن جينا وهانا، في المظهر والطبيعة مع ذلك، فهي، مثلهما، من النوعية التي تعجب إيزابيلا، فهي تتميز بالقوة الداخلية لاتخاذ القرارات الصعبة والالتزام بها فالكتاب الذي ألّفته عن والدها قد كشف الكثير عنها: طفلة تحملت المسؤولية كراشدة، وأدركت أن الربح يزيح الخسارة جانباً وهذه نظرة ناضجة جداً لمن هم في مثل سنها.

مع ذلك تحملت الخسارة، كما تحملتها إيزابيلا

أمضت إيزابيلا الساعتين الأخيرتين في المكتبة لمراجعة صور الحرب العالمية الثانية القديمة، وقد جعلها ذلك تشعر بثقل في قلبها فقد فقدت زوجها وشقيقها الوحيد خلال ذلك الصراع الرهيب في



أوروبا، كما تعرضت لمتاعب أخرى. اعتقل العديد من المهاجرين الإيطاليين في «نورث كوينزلاند» لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على الجنسية الأسترالية كما فعل والداها. وقام والدها بما يستطيع لتخفيف الألم بين أفراد الجالية الإيطالية، فقدم الأرض التي يملكها لبناء مخيم مناسب لهؤلاء. ثم أقنع دائرة الأحراج أن توفر له النباتات والأشجار لإنشاء حديقة إستوائية هناك. وهكذا يتم الحفاظ على النباتات الإستوائية إضافة إلى إبقاء المعتقلين مشغولين بالعمل، وهذا أفضل من وضعهم في سجون مقفلة. فكان هذا العمل مفيداً للجميع.

في ذلك الحين قال لها والدها: «بعد الحرب، تستطيعين أنت وإدوار بناء منزل لكما هنا، إيزابيلا».

لكن ادوار لم يعد من الحرب، ولم تصبح «كاوري كينغ بارك» منزلاً لها. إنها الآن لمائيو، ولم تذهب نيكول إلى هناك بعد. الأمر الذي أعاد تفكير إيزابيلا إلى المرأة الشابة التي تقطن معها منذ ثلاثة أسابيع.

لقاء وحيد فقط مع مائيو، ومن المؤسف أنها لم تتمكن من مراقبته.

ربما لم يكن هناك شيء للمراقبة، فالجمال الذي تراه في نيكول قد لا يروق لمائيو وهو لم يحاول متابعة التعرف بها، ولم تعلّق نيكول بكلمة تكشف عن اهتمام شخصي به.

وسلّمت ايزابيلا بالحقيقة التي لا يمكن نكرانها: إن المرء لا يستطيع إعطاء الأوامر لحدوث التجاوب الطبيعي. ولا يكفي أن ترغب في حدوث ذلك لكي يحدث فعلاً. لكن ما يثير الغرابة، هو أن نيكول التقطت الكثير من المعلومات عن طريق القيام برحلات الباص الخاص بمائيو، ومع ذلك لم تختر بعد أن تقوم بالجولة التي قد تضطرها إلى

الاحتكاك معه، مع أن هذه الرحلة ستجعلها أكثر معرفة بتاريخ العائلة. فلماذا تؤجلها؟

شعرت إيزابيلا بأن نيكول ترغب في تجنب هذا اللقاء. فهل يعني ذلك أن مائيو أخرج نيكول من منطقة أمانها؟ هل أغضبها بطريقة ما؟

لم يكن أصغر أحفادها في العادة شخصاً حاد الطباع. بل يتميز بشخصية سعيدة، مرحة، ورفقة مقبولة جداً لمعظم الناس. فهو يدير أعماله بخفة مع أنها لا تقل أهمية عن أعمال أخويه الأكبر سناً. إلا أن خفته تلك هي طريقته الخاصة في حفر مكانة خاصة له في العائلة.

أليساندرو العمود القوي الذي يتحمل المسؤولية.

أنطونيو، المنافس الشرس..

مائيو، الراقص الرشيق بين الإثنين.. يدعي أنه يعيش الحياة وكأنها لعبة يلعبها. لكنه يتحمّل مسؤولياته، وهو منافس بقدر ما هو عليه أنطونيو.. لكنه يعبر عن هذا بشكل مختلف.

ربما حدث شيء بين مائيو ونيكول لا يريد أي منهما أن يعترف به تجاذب كيميائي غير متوقع وغير مريح، أزعج أحاسيسهما في السيطرة على حياتهما. يجد مائيو متعة في إثارة الآخرين، لكنه مسيطر جداً على نفسه. أما بالنسبة لنيكول.. فيسود حولها جو من الهدوء، على الأرجح أنها اكتسبته بصعوبة، نظراً لكل ما مرت به. وقد تمزق عاصفة من المشاعر أعصابها التي تسعى للهدوء.

وبخت إيزابيلا نفسها. هذا تفكير متفائل مهما كان الوضع، فعلى المشروع التاريخي أن يبقى على الطريق المرسوم له، وحان الوقت لنيكول كي ترى بعينيها ما كانتا تتحدثان عنه.

قالت: «سوف أمضي يوم الغد في تنظيم حفل زفاف، فالعروس وأمها ستأتيان لتقرر كل التفاصيل لحفل الاستقبال الذي سيقام هنا في



قاعة الرقص».

ابتسمت نيكول:

- لا أستطيع تصوّر أمر أكثر رومنسية من إقامة حفل زفاف هنا في القصر.

- في الماضي كنا نقيم حفلات راقصة ونعرض أفلاماً في قاعة الرقص. ولم أرغب أن تصبح مهملة، فحوّلتها منذ سنوات إلى مركز لإقامة حفلات الزفاف والأعراس. لا نستخدمها لغير هذا الآن.

- أنا واثقة أنها تضيف نكهة خاصة إلى المناسبة لثنائي سيتزوج.

- أعتقد هذا. فالأبنية القديمة والمتينة تعطي إحساساً بالصلابة والاستمرارية. سوف تشعرين بذلك حين تزورين «كاوري كينغ بارك».

لمَ لا تقومين غداً بهذه الرحلة نيكول؟ أظن أن ذلك مناسب لأنني كنت أخبرك لتوي عن نشأتها.

إنها الرحلة التي ستوصلها إلى منزل مائيو!

على الفور، شعرت نيكول بالتوتر. رفعت كتفيها بتصلب، وضمت قبضتيها في حجرها، ورفعت ذقنها قليلاً. والأكثر إثارة للاهتمام، أن موجة من الحرارة اجتاحتْ عنقها وخديها.. ولا يمكن أن يكون ردّ فعلها هذا بسبب توقعها السير عبر غابة مطر إستوائية ومزرعة فاكهة. أما إذا كان ذلك بسبب توقع رؤية مائيو.. ربما يجب التخطيط للمزيد من المقابلات! وانتظرت إيزابيلا رد نيكول، إذ يجب التصرف بدقة في هذه المسألة. لكن قلبها امتلأ بالأمل.

وقاومت نيكول رغبتها برفض الاقتراح: «غداً..؟».

لقد أخرت هذا اللقاء المحتم قدر استطاعتها. وهي ببساطة لا تجد عذراً مقبولاً للتهرب من الذهاب إلى منطقة نفوذ ماث كينغ هذه المرة، لكن كل شيء في داخلها يتخوف من قربه مجدداً.. وأجبرت نفسها أن

تقول: «نعم».

ثم تمسكت بطوق نجاة محتمل: «لكن الرحلة قد تكون محجوزة بالكامل، والوقت متأخر للاتصال».

- يمكنك الذهاب بالسيارة والانضمام إلى الرحلة عند البوابة. المكان ليس بعيداً، فلن تستغرق الرحلة إلى «موسمان» أكثر من نصف ساعة.

تقلصت معدة نيكول. يجب أن تقوم بالرحلة، لا مجال للتهرب. كل ما تستطيع أن تأمله، هو غياب ماث كينغ.

وأكملت السيدة كينغ: «غداً يوم جيد. ماث يمضي أيام الخميس هناك، ويستطيع المساعدة بأي شيء تريدين معرفته».

إنه أسوأ يوم ممكن، لقد وقعت الآن في الفخ. لقد أخطأت بعدم الذهاب إلى هناك من قبل لتتمكن من تجنبه مع أنها تعرف أنه يلازم شركة السياحة أيام الإثنين والجمعة، لكن المشكلة أنها لم تكن تشعر بالأمان في الذهاب في أي يوم كان.

لو أن ماث كينغ تفحص حجوزات الجولة السياحية، ولديها إحساس أنه سيتأكد مما تنوي فعله.. سيتمكن من استقبالها في منطقته في أي يوم ذهبت. ليست واثقة من السبب، لكن كل ما يتعلق به يجعلها متوترة، وهو يعرف هذا ويستغله، فهو يتغلغل في كيانها. ولم يكن هذا يعجبها ولا تريده.

حاولت كبت الإحساس بأنها علقت في الزاوية، وقالت بسرعة: «لا أريد أن أبعده عن عمله سيدة كينغ، وأنا واثقة أن دليل الرحلة...»

- بإمكان ماث أن يوفر الوقت لإخبارك عن معرفته الحميمة بالغابة.

حميمة؟ وسرت ارتعاشة صغيرة على امتداد ظهر نيكول، فماث



كينغ يشع بالإثارة الرجولية. حتى في ذلك اللقاء المختصر في مكتبه شعرت بجاذبيته الطاغية؛ جاذبية سمّرت جسمها وجعلته يشعر بأحاسيس بدائية قوية. ولم تكن قد شعرت من قبل بمثل هذا الإحساس. حتى أنه أصاب تفكيرها بالتشوش، وجعل من المستحيل عليها أن تفكر بأية فكرة منطقية.

قالت ربة عملها بحزم لتضع الختم على لقاء لا يمكن تجنبه: «سأتصل به الليلة وأقول له إنك قادمة ليتمكن من انتظارك».

يبقى السؤال الهام: هل تذهب بالسيارة أم بالباص؟ ولم تعرف نيكول أيهما أفضل. هل عليها الالتصاق بمجموعة سياحية مما قد يخفف من تأثير ماث كينغ عليها؟ أم من الأفضل أن تكون سيارتها في متناول يدها كي تتمكن من المغادرة في أي وقت تريد؟ في كلتي الحالتين لا تستطيع تجاهل أن عملها يتطلب جمع كل المعلومات التاريخية التي تستطيع جمعها من هذه الرحلة، وستضطر إلى الحفاظ على تركيزها على هذه النقطة. وقفت عن كرسيها: «سأذهب لأتصل بمكتب الرحلات وأرى إذا كان هناك مقعد متوفر في الباص».

ابتسمت إيزابيلا كينغ برضى وهي تهز رأسها بالموافقة. وبقيت حيث تجلس بوقارها الهادىء الذي لا يتزعزع. شيء ما في ابتسامتها جعل نيكول تنظر بحدة أكبر إلى ربة عملها الأرستقراطية قبل أن تذهب. فقد كانت تحيط بها هالة مخيفة من السلطة، سلطة ناعمة لا تُقهر ولا يهزمها الزمن أو الظروف.

مرة أخرى، سرت ارتعاشة على ظهر نيكول. عينان سوداوان لامعتان تفيضان بالقوة، تماماً مثل عيني ماث.

هذه العائلة ليست عادية، عرفت هذا منذ البداية. لكن إلى أي مدى

هي غير عادية؟ ومن أين أتت السلطة؟

سارت نحو المدخل الكبير للقصر وهي تعرف أنها ستدخل عالمهم. واعترفت أخيراً أن الهرب منه ليس خياراً حقيقياً قد ترغب في اتخاذه، فهو يثير اهتمامها ويذهلها إلا أن قربه يخيفها أيضاً.

ماث كينغ.. غداً؟

***



## ٥ ـ الوقوع في الفخ

وقف ماث كينغ على سطح مقهى مكسو بسرادق، يرقب السياح وهم ينزلون من الباص في الطرف الآخر من جادة كاوري المحفوفة بأشجار الصنوبر. وفكر متسلياً: هذه هي المرحلة الثانية من مؤامرة الترتيب للزواج! ولم تكن جدته تعرف، حين اتصلت به ليلة أمس، أنه كان يعرف مسبقاً بأن نيكول ريدمان حجزت مقعداً على هذا الباص اليوم.

مرت ثلاثة أسابيع منذ قرر مراقبة رحلات نيكول. لقد قامت تقريباً بكل الجولات، وبدا واضحاً من حديثه مع جدته أن مؤرخة تاريخ العائلة المقيمة لديها دُفعت إلى هذه الزيارة في هذا اليوم بالذات.. يومه الخاص في المزرعة.

إنها مراوغة خبيثة من جدته جعلت الرفض أمراً مستحيلاً. وماث يعي تماماً أحابيل جدته، لكن، هل تعي هي أن نيكول ريدمان تخشى أن تقابله مرة أخرى.

في المرة الأولى اهتز كيانها. فما الذي سيحصل هذه المرة؟

أزعج هذا السؤال تفكير ماث منذ أدرك أن تأخرها في المجيء إلى هنا لا بد أن يكون متعمداً، فكاوري كينغ بارك، هي مادة أساسية لتاريخ العائلة ومن يتلهّف للبحث في الماضي سينجذب بلا شك إلى هذا



www.elromancia.com

المكان خلال أيام لا أسابيع. ما يجعله يتساءل إذا ما كانت نيكول ريدمان تجيد عملها حقاً أم أنها خدعت جدته..

وقرر ماث أن هذا الأمر غير محتمل. قد تكون خُدعت في البداية، لكن ليس بعد ثلاثة أسابيع. إلا إذا كانت قد أصيبت بالعمى بسبب خططها الأخرى. هل يمكن لذلك أن يحصل؟ بالتأكيد لن تقبل بأن يتزوج من فنانة مخادعة. وقد تكون خدعت بمظهر نيكول، لكن ماذا عن شخصيتها؟ هل هي ممثلة بارعة إلى هذا الحد؟

ها هي! ذات القبعة المصنوعة من القش الواسعة الأطراف وعليها زهرة دوار الشمس. حتى من هذه المسافة بدت مميزة عن السياح الآخرين، فهي المرأة الوحيدة التي ترتدي تنورة، فيما تلبس الأخريات بنطلونات قصيرة أو قطنية ضيقة مع تيشيرت واسع لكن نيكول اختارت أن ترتدي بلوزة طويلة الأكمام، بلون الغابة الخضراء مثل تنورتها التي تصل إلى ركبتيها.

وفكر ماث أنها تحمي بشرتها. لكن تأثير الزي على جسمها الطويل النحيل كان أنثوياً جداً.. أنثوي أنيق أنثوي جذاب، خاصة مع تلك القبعة. كان الآخرون يضعون قبعات صغيرة أو قبعات من القماش يسهل وضعها في الحقائب. أما قبعة دوار الشمس فقد بدت مختلفة تماماً، فهي تخفي شعرها، بطريقة تعطي انطباعاً دراماتياً كانت مميزة مثل كل شيء يحيط بنيكول ريدمان، التي بدا بوضوح أنها لا تنتمي إلى المجموعة.

أحس ماث أن جسمه يتقلص. كان قد أمضى عدة ليالٍ مستيقظاً، يتخيلها معه. وشعرها الحريري يشتعل كالنار حولها، كوعد مغرٍ بالهوى الحار الذي يشتعل بينهما.

تجنبها للقائه مرة أخرى زاد من اندفاعه لملاحقتها لكن لا داعي



للاندفاع، لا يريد أن يعطيها أي إحساس بالسيطرة عليه، إضافة إلى هذا لا حاجة به لملاحقتها نظراً لخطة جدته في جمعهما، فالصبر هو اللعبة الأفضل.

لكنه لم يعد مضطر لأن يصبر أكثر من ذلك. إنها هنا، وكل ما تعرفه، أنه يقوم بما أملته عليه جدته لجهة مرافقتها شخصياً في هذه الجولة. سيفسح له ذلك المجال للسيطرة على ما سيحدث مع نيكول ريدمان اليوم.

رفعت نيكول نظرها إلى أشجار الصنوبر المذهلة حين تحدث المرشد السياحي عن زراعتها قبل ستين عاماً. بدت تلك الأشجار باسقة ممتدة نحو السماء، كما بدت أوراقها صغيرة جداً إذا ما قورنت بارتفاعها

تذكرت نيكول تلك الأشجار العملاقة التي شاهدتها في غابة «موير وودز» خارج سان فرانسيسكو. لكن هذه الأشجار مختلفة جداً، فهي تبدو بدائية أكثر، كما أنها ضخمة. لكن.. وتابعت نظراتها النجول ببطء في محاولة لتشكيل انطباع عن المكان ووصفه في كلمات. وفي تلك اللحظة، لمحت ماث كينغ يسير نحوها مباشرة.

وقفت مشلولة تراقبه شعرت بسلطته البدائية تهاجمها وتقتحم كل عصب في جسمها. حاول دماغها النظر إليه على أنه مجرد رجل في مهمة عائلية مطلوبة منه، لكن هذا لم يكن له فارق على تأثيره بها.

وسجلت عيناها ملابسه العفوية؛ جينز أزرق قاتم وقميص أحمر رياضي كلاهما يحتضنان جسمه القوي العضلات، ليدمرا فيها أي إحساس بالأمان. أحست كأنه يشبه هرة شرسة لا يمكن ترويضها أو إبعادها. المشكلة هي أنه يثير مشاعرها بشكل لا يمكن السيطرة عليه

قال وهو لا يزال على بعد أمتار منها: «صباح الخير».

أثار صوته الاضطراب في داخلها. أخذت نفساً عميقاً وهي تأمر نفسها بشراسة بأن تجيب بطريقة طبيعية، فالهدف من زيارتها إلى هنا هو أن ترى وتفهم ما الذي تم إنجازه في هذه المنطقة الهامة.

قالت بارتباك أكثر مما تحب: «مرحباً.. لطيف منك أن تأتي لتستقبلني، لكن أرجوك.. إذا كنت تفعل شيئاً آخر..»

ابتسم ماث ولمعت عيناه القاتمتان لارتباكها الظاهر:

- أنا لا أمانع في إرضاء جدتي، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتعريف بهذا المكان.

- آه.. لقد ابتعد الجميع.

- تابعوا طريقهم فيما كنت أنت في انتظاري

احمر خداها حرجاً لإدراكها أنه يقول الحقيقة فهي لم تلاحظ هذا، ولم تسمع المرشد يوجه الجميع إلى مكان آخر، ولم تع أنها بقيت واقفة لوحدها. التفتت إلى اليسار من جادة صنوبر كاوري، فوجدت أن المجموعة قد توجهت نحو ممر يحيط به نبات السرخس

قال ماث: «هل نلتحق بهم؟»

فأجابت بسرعة: «أجل»

اختارت البقاء مع المجموعة أملاً في أن يخفف ذلك من تأثير ماث كينغ عليها.

حثت السير لتلحق بالآخرين، وخطا إلى جانبها ما يجعلها تدرك كم هو طويل القامة. فمع أنها ذات قامة طويلة فوق المعدل لامرأة، إلا أن طولها كان يصل إلى كتفه، وهو يسير إلى جانبها حجبت أطراف قبعتها العريضة عينيها عنه فلم يستطع النظر مباشرة إليها والعكس بالعكس، مما أعطاها الوقت لتستعيد بعضاً من رباطة جأشها.

سأل يذكرها بوجهة نظره السابقة فيما يتعلق ببقائها في القصر مع



جدته: «إذن، كيف تسير الأمور بالنسبة لك؟»

ردّت بخفة: «عظيم!»

- ألم تشعري أنك غارقة؟

- بماذا؟

- بكل المعلومات التي ستحصلين عليها لتتناسب مع قصة مترابطة.

- إنها قصة كبيرة، كبيرة... لكنها ليست مستحيلة، فهناك ترتيب أصلي لها.

علّق بجفاء: «كما هو الحال مع كل حياة وأعتقد أن هناك منطقاً لقصتك»

- أجل.. هذا ما أعتقده. ولو أنني لم أفكر بالأمر حقاً بهذا الشكل.

- ربما تفضلين اتباع نموذج ما.

- لا أعتقد هذا.

- إذاً، أنت راغبة في تجربة جديدة بالرغم من العوائق الظاهرة. وأنت ملتزمة بالبقاء في بورت دوغلاس لستة أشهر مع أن الطقس هنا ليس لطيفاً بالنسبة لك.

إنه يحاول إثارتها مجدداً، كما فعل تماماً في مكتبه. فلماذا يريدها أن تعترف أنها أخطأت في قبول هذا المشروع؟ أهي شوكة من نوع ما في خاصرته؟

ردت بإحساس غامر بالرضى: «بل أظنه طقساً رائعاً.. ليس بارداً، فأنا أكره البرد»

- ألا تجدين الحرارة مزعجة؟

- يمكن أن تكون هكذا إذا كنت خارج المنزل وسط النهار.

ـ خاصة حين تضطرين إلى تغطية نفسك لحماية بشرتك البيضاء.

ـ أنا أفعل هذا طوال حياتي ولا يزعجني الأمر.

ـ حسن جداً.. لست بحاجة إلى قبعتك الآن. نحن في الظل تماماً، وأفضل أن لا أتكلم مع قبعة.

شعرت باندفاع عنيد لحرمانه من رؤية وجهها. لكنها خشيت أن تكون لديه الوقاحة ليرفع قبعتها بنفسه، مثلما أخذ حريته في وضعها على رأسها في المكتب. من الأفضل تجنب هذا النوع من التواصل الأليف، فهي بالكاد تستطع السيطرة على نفسها. إضافة إلى أن غابة المطر كانت تحجب الشمس فعلاً، ومن غير المنطقي الالتزام بوضع القبعة. هكذا مدت يدها وأزالتها.

قال ماث: «هاك! ألا تشعرين أنك بحال أفضل؟»

رفعت نظرها إلى عينين ممازحتين بمكر، وشعرت أنه منجذب نحوها كما هي منجذبة نحوه.. ما أصاب دماغها بالتشوش

سعت غريزياً إلى الالتحاق بمجموعة السياح، وركزت بقوة على المرشد الذي كان يعدد أسماء نباتات السرخس والعرائش. وذكّرها هذا أن عليها أن تنتبه، وتسجل الملاحظات، وأن تبقي عينيها مفتوحتين على كل ما تسمعه. وصممت أن تتابع عملها وأن لا تدع انشغالها بماث كينغ يلهيها عن مهمتهما الأساسية. راحت تفتش في حقيبتها عن دفتر الملاحظات، فوقعت قبعتها. التقطها ماث بسرعة: «سأحملها لك»

تصاعدت الحرارة إلى خديها وعرفت أنه سيضعها على رأسها حين يصبحان مرة أخرى تحت أشعة الشمس، وسيحولها إلى كتلة مرتجفة من الأعصاب. إلا أنها تمتمت: «شكراً».

تمنت لو أنها لم تربط شعرها إلى الوراء، أو لو أنه كان يغطي وجهها وهي تفتش في حقيبتها عن الأغراض وأضافت: «أنا بحاجة إلى



استعمال كلتي يديّ لتسجيل الملاحظات».

وبسرعة أخرجت آلة التصوير لتعلقها حول عنقها كي يسهل استخدامها.

مد يده، ودسها خلف مؤخرة عنقها، ورفع لها شعرها من تحت حمالة آلة التصوير. وقفت نيكول جامدة مصدومة، وقلبها يحترق بسرعة ووجهها يختنق احمراراً.

قال ماث: «أحرر لك شعرك فقط».

لكن أصابعه راحت تتلمس شعرها لبرهة قبل أن يوقف التلامس الذي لا داعي له.

ولم تعرف ماذا تفعل، فهي لم تشعر هكذا من قبل. جعلت لمسته القشعريرة تجري في جسمها. كما أحست بالإثارة تسري على بشرتها، فابتلعت أي إمكانية احتجاج.

وجدت نفسها تتمسك بدفتر الملاحظات بشدة ابيضت لها عقد أصابعها، في محاولة للتركيز على ما يقوله المرشد السياحي. راحت تسجل بعض الكلمات التي قد لا تفهمها فيما بعد. وأعطاها هذا ببساطة فرصة لإبعاد تفكيرها عن ماث كينغ الذي يقف إلى جانبها. إنه يراقبها، لكنها حاولت أن تمنع دماغها من التفكير به.

إلا أن مخيلتها قررت أن تتركه يتكلم. فإذا كان حقاً مهتماً بها كامرأة، لمَ لا يظهر اهتمامه من دون شروط؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فيمكنها أن تستنتج أن الجاذبية أمر وملاحقتها أمر آخر. وقد يعتقد ماث أن علاقته معها قد تورطه بمشاكل أكثر مما تمنحه من السعادة.

آخر شيء كانت تريده هو أن تبدو غبية، أمام حفيد ربة عملها، فقد يضعها هذا في موقف محرج فظيع. عليها البقاء في القصر لخمسة أشهر أخرى ولا مجال أمامها للهرب. وفي هذا الوقت الطويل، سيكون هناك

دون شك مناسبات عائلية تشمله، لذا عليها أن تلزم الحذر. فكرامتها واحترامها لنفسها يتطلبان هذا. مع ذلك، فالرغبة في التعرف إليه أكثر جعلتها متوترة، تنتظر، وتستمع.

لم يقل ماث كينغ شيئاً يخرج عن المألوف، ما جعلها تشعر بالسخط. لقد التزم ببساطة دور الرفيق العفوي. سارا معاً في آخر مجموعة السياح. والتقطت نيكول الصور حين راح الآخرون يلتقطون الصور، بغض النظر عما إذا كانت مفيدة للمشروع أم لا. وشغلت بهذا وقتاً كان يمكن أن يقود إلى مواضيع خطرة مع ماث كينغ.

علق على استخدامها آلة التصوير: «هل هذه الصور للذتك الخاصة في التقاطها أم تتصورين أنها توفر نوعاً من التاريخ المصور؟»

ـ لست أدري بعد ما الذي يلخص تاريخ هذا المكان بأفضل حال، حتى أصل إلى الكتابة عنه. ومن الجيد وجود كل هذه الصور للاختيار منها.

ارتفع حاجب أسود متسائل: «وهل قمت بالكثير من الكتابة حتى الآن؟»

ـ لا زلت أسجل الملاحظات.

ـ هذا ما أراه.

اللهجة الجافة، ولمحة السخرية في عينيه ألمحت إلى أنه يشك في أن تصل إلى كتابة جدية. وأزعج هذا نيكول، فليس من حقه أن يحكم على قدرتها على إنتاج ما هو مطلوب، مع أن توترها وهي تسجل الملاحظات اليوم قد يعطي عنها انطباعاً خاطئاً.

قال مات متشدقاً: «أعتقد أنك ستجدين الصور في بيتي أكثر أهمية من الناحية التاريخية، من أي صورة تأخذينها اليوم. فهي تُظهر مراحل تطور الغابة منذ بدايتها إلى الآن».



ـ لمَ لم تقل لي هذا من قبل؟

ـ أوه.. من المثير للاهتمام أن أراقب ما تقومين به. إضافة إلى أنه كان بإمكانك أن تسأليني.

ورماها بابتسامة ساخرة، مكملاً: «فأنا لم أرافقك فقط لأحمل قبعتك».

شعرت نيكول بأنها تكاد تموت خجلاً. لقد كانت مرتبكة بسبب قربه منها، فلم تستطيع أن تسجل الملاحظات كما يجب عليها أن تفعل.

ـ أنا آسفة.. لقد أسرت الغابة لبّي، فتشتت انتباهي.

وهزت رأسها توبخ نفسها بوضوح، وبدت على وجهها تكشيرة اعتذار. «لا بد أنك تظنني محتالة من نوع ما».

وكان هذا خروجاً عن المألوف.. خروجاً توقعت منه أن يستنكره. بدلاً من ذلك، وجّه ضربة أخرى إلى احترامها لنفسها: «وهل أنت محتالة؟»

توقفت مصدومة لأنه يفكر بهذا. وارتفعت نظراتها إلى نظراته لتجد عينيه القاتمتين تلمعان بحدة.

قالت بحرارة شديدة: «لا لست هكذا».

أحنى رأسه مقيّماً: «حسناً، هل هناك سبب يدعوك إلى التمسك بالجولة السياحية؟»

ـ أنا أنا جئت معها.

ـ سأحرص على أن تغادري معها قبل مغادرتها. وإلا سأوصلك إلى بورت دوغلاس بنفسي.

راح قلبها يقفز في صدرها لفكرة قضاء الساعات القليلة التالية لوحدها مع ماث كينغ. كانت تشعر بقوة إرادته تضغط عليها، وتطلب



www.elromancia.com

استسلامها. ومرة أخرى أحست أنها تتعرض للهجوم، وقاومت لتحافظ على استقلاليتها.

سارعت لتقول: «نحن نتجه إلى السرادق الكبير، وأود أن أسير حوله».

التوت شفتاه بابتسامة صغيرة ساخرة: «طبعاً».

أشار إليها لتلحق بالمجموعة مرة أخرى: «لقد بُني كمركز تأهيل للمعتقلين. وهو يمثل نقطة مركزية رائعة ويطل على ملاعب التنس من الجانب الآخر ويستطيع الناس الجلوس على سطح السرادق ومراقبة المسابقات».

قالت نيكول بسرعة لتظهر له أن تفكيرها منصب على تاريخ العائلة: «وجدّك صمم كل هذا».

رد بجفاء: «أجل، لا شك أنك لاحظت لمسة روما القديمة في أساس البناء».

كانت الباحة الرئيسية محاطة بالعمران، والأسوار الحجرية تحيط بالسطح المبني على الطراز الروماني. قالت معلقة: «كل ما ينقص هو بركة الماء والنافورة».

ضحك قائلاً: «هناك صف طويل من النوافير في بركة مستطيلة على الجانب الآخر».

وابتسم لها وهو يتابع: «لا شيء ينقص.. لقد كان فريدريكو ستيفانو فالبري دقيقاً في كل شيء يفعله».

ولم تتمالك نفسها من السؤال: «وأنت؟».

تراقصت عيناه: «أعتقد أن التاريخ سيحكم بهذا».

ـ الجولة السياحية ستستمر إلى مزرعتك بعد تناول المرطبات في الشرفة، أليس كذلك؟



ـ إنهم يغذّون فضولهم فقط. بإمكان المرء التقاط كل المعلومات التي يحتاجها من كتيب. ولن يفوتك شيء هام إذا ما تركتهم.

وابتسم مجدداً: «جولة في منزلي ستوفر عليك مسيرة طويلة في هذا الحر».

ولم يعد لديها خيار سوى الذهاب معه. فتمسكها بالرفض أكثر مما فعلت سيغذي ارتيابه بأنها ليست على مستوى العمل الذي استخدمت لتقوم به، وهي لا تستطيع أن تشرح له بأنه هو المشكلة.

قال مضيفاً في محاولة للضغط عليها: «وقد أعطيك نماذج عن الفاكهة التي أزرعها. إضافة إلى أي نوع من المرطبات ترغبين بها».

وبدا الخبث في عينيه. كان يعرف أنها لا تريد مرافقته. كان يلعب لعبة معها لإيقاعها في الفخ، لكن لأي هدف؟

أهو على وشك أن يجعل علاقتهما شخصية جداً ما إن يصبحا لوحدهما معاً؟

ضجت نبضاتها في صدغيها، وتملكتها رغبة شديدة بالتعرف أكثر على هذا الرجل. لكنها لم تكن واثقة أن هذا الطريق آمن. كان الجاذب بينهما قوياً جداً. مع ذلك، نبهها عقلها إلى أن هناك شيئاً خاطئاً في لعبة ماث كينغ.

هذا يعني أن عليها أن تبقى متيقظة، وأن تبقي بطريقة ما، باب الأمان مفتوحاً كي تستطيع الخروج من الفخ وكرامتها الشخصية لم تمس

***

## ٦ ـ هل الهروب هو الحل؟

بالرغم من رفقة ماث كينغ المتوترة، أحبت نيكول منزله. أدخلها إلى غرفة جلوس كبيرة بدت مرحبة على الفور، مليئة بالألوان والراحة العفوية. أما هواؤها فمنعش ببرودته. لا شك أن هذا بسبب مكيف هواء، ما وفر لنيكول نوعاً من الراحة من حرارة منتصف النهار.

في أحد جوانب الغرفة، ثلاثة مقاعد خضراء اللون كانت تشكل نصف حلقة في مواجهة شاشة تلفزيون ضخمة. في جانب آخر من الغرفة هناك طاولة خشبية طويلة حولها ثمانية مقاعد ومطبخ. ومن خلف كل هذا جدار زجاجي يقود إلى الشرفة.

علقت على جدران الغرفة لوحات عن غابة المطر ومناظر للجرف الكبير بمرجانه العظيم وأسماكه الاستوائية. من الواضح جداً أن ماث كينغ يحب هذا المكان ويشعر أنه في موطنه. حتى إن المنزل من الخارج كان مدهوناً باللون الأخضر ليتناسب مع محيطه، وقد انتشرت حوله أشجار النخيل والشجيرات الصغيرة.

قال ماث وهو متجه إلى المطبخ: «سأحضر بعض المرطبات، اتركي أغراضك على الطاولة وأخرجي إلى الشرفة. إنها تطل على جدول صغير، لذا ستجدين جوها منعشاً، كما أن صوت الماء يجعلها مكاناً رائعاً للاسترخاء».



وجدت نيكول الفكرة جيدة، فهي بحاجة للاسترخاء. على الأقل كان قد أعاد لها قبعتها لتضعها بنفسها، ولم يزعجها الآن وهي تخلعها مجدداً وتضعها على الطاولة مع حقيبتها. ربما من الغباء أن تشعر بمثل هذا التوتر فتوجيهه لها إلى الشرفة يدل بكل تأكيد أنه ليس سيئاً إلى هذا الحد.

قادها باب زجاجي إلى الشرفة. وتحركت مباشرة إلى السياج، حيث سمعت صوت تدفق الماء. كان الجدول تحتها يجري فوق صخور في سلسلة من الشلالات الصغيرة، بدا المنظر جميلاً جداً بالضفاف المغطاة بنبات السرخس، فنسيت مؤقتاً كل مشاكلها.

راحت الطيور تنتقل بين الأشجار وتضيف موسيقى مميزة للمنظر إنه مكان ساحر وفكرت كم هو محظوظ ماث كينغ في العيش هنا مع كل هذا الجمال الطبيعي والسكون، فالمكان يشبه الجنة.

ـ لا تتحركي

وصل إليها الأمر بصوت هادىء من خلفها: «لقد حطت الفراشات على شعرك، فدعيها وشأنها إلى أن أحضر زهرة وأنزلها عنك».

وقفت جامدة، مصدومة بفكرة انجذاب الفراشات إليها، من دون خوف من وجودها الغريب. وسمعت صوت صينية وضعت على الطاولة، ووقع أقدام ماث وهو يسير إلى آخر الشرفة ويعود. ومن زاوية عينيها لمحت زهرة خباز حمراء طويلة، وأحست بملمس خفيف على شعرها، ثم طارت فراشتان بلون أزرق مفعم بالحيوية من أمامها ووقفتا على الزهرة التي حملها ماث فوق السياج.

تنفست مذهولة: «أوه.. يا له من لون أزرق مشع!».

تمتم ماث: «إنها فراشات «أولس».. ويوجد الكثير منها هنا. لون شعرك المشرق جذبها».

نظرت إليه بدهشة، وهي لا تزال مأسورة ببهجة التجربة: «حقاً؟».

ابتسم لها وكان قريباً جداً منها. أحست كأنها تستحم بوخز دافىء خفيف، وللحظات زاد معدل ضربات قلبها. بدا وكأنهما يتشاركان النظرة ذاتها للطبيعة الرائعة، ويكنان لها الإعجاب نفسه. ثم تحول الدفء إلى مستوى مختلف، وأحست نيكول بنفسها تتوتر مجدداً.

قال بلهجة ناعمة اقشعرت لها بشرتها: «لقد انجذبت إلى اللهب، وأتساءل كم فراشة أحرق هذا اللهب».

قالت بتعصب: «عفواً؟».

ـ فراشات... ورجال.. شعرك كالمغناطيس.

ـ لكنه لا يحرق الأشياء

ـ له إغواء «المرأة الفاتنة».

ـ لا أراك مرمياً عند قدمي.

ضحك، ومرّر أوراق الزهرة ممازحاً على خدها. تمتع ماث بكل ثانية بما يفعل، بينما فقدت هي القدرة على التنفس، هذا عدا الكلام.

قال بلهجة غامضة: «الحياة مليئة بالمفاجآت. فدعيني أفاجىء حاسة الذوق في لسانك بالعديد من النكهات الغريبة».

وتراجع إلى الوراء ليشير إلى الطاولة حيث ترك الصينية. وهي طاولة لاثنين من الخيزران بسطح زجاجي، حولها كرسيان بمفارش خضراء. وكان في الصينية سلة مسطحة تحتوي على مجموعة من الفاكهة المقطعة، وطبقان صغيران، وسكينان وشوكتان، وكأسان أنيقان مليئان بالعصير...

وانتظرها ليمسك لها الكرسي. أخذت نيكول نفساً عميقاً، فهي بحاجة لجمع شجاعتها المتشتتة، وحركت ساقيها الواهنتين لتقترب منه



وتجلس. أفرغ ماث الصينية ووضع زهرة قرمزية أمام كأسها، كأنه يذكرها كم من السهل أن تفقد صوابها مع هذا الرجل.

جلس وابتسم لها، والبهجة تتراقص في عينيه، ما جعل قلبها ينكمش لفكرة أن تناول الفاكهة والعصير ليس ما يبهجه. إنها هي الهدف! ولو أن تفكيرها كان ضبابياً فيما يتعلق بنواياه تجاهها.

ـ أعتقد أننا يجب أن نبدأ بما يعرف عادة بملك وملكة الفاكهة الإستوائية

ووضع قطعتين من الفاكهة في طبقها وأشار إلى كل قطعة وهو يسميها:

ـ الملك هو «دوريان». والملكة هي «مانغوستين».

وكان «الدوريان» يشبه القشدة لكن طعمه أغنى بكثير. وفضلت نيكول الطعم الأكثر نعومة «للمانغوستين» الحلوة. وقالت: «تعجبني الملكة أكثر».

ـ لكن للملك نكهة مميزة أكثر. كلما أكلت منه كلما أصبحت مدمنة عليه.

أيشير بذلك بخبث إلى نفسه؟

ـ الآن ها هو الزعرور الأسود، طعمه كحلوى الشوكولا.

وراقبها تتذوقه، ليجعلها تعي فعلاً حركات فمها ولذة مذاق الفاكهة

قال ينصحها. «ستضطرين إلى تنظيف حلقك بعد هذه».

والتقط كأسه وقربه من كأسها

وفعلت مثله وهو يرتشف العصير ونظراتها متوجهة إلى فمه.

ـ جربي «اللونغان»، إنها فاكهة صينية الأصل.

وهكذا سارت الأمور؛ أسماء غريبة، نكهات غريبة.. لكن تفكير

نيكول كان يزداد إثارة لا غرابة. كان هناك تقارب حميم في المشاركة بهذه الوليمة. كل منهما يراقب رد فعل الآخر، والتعابير الواضحة تجاه كل تجربة مختلفة. كأن الأمر رحلة مثيرة للاستكشاف.

حرك ماث كينغ فيها تساؤلات تتطلب الرد عليها. إنه يجسد الكثير مما فاتها في حياته الماضية، وتاقت إلى معرفة إذا ما كان قادراً على ملء هذا الفراغ.

شعرت أن جاذبيته تزداد قوة. ليس لأنه أكثر الرجال الذي التقتهم إثارة، بل لأنها تشعر أنه شخص مكتمل، وهي ليست هكذا

ربما يعود السبب إلى امتلاكه لأساس عائلي متين، إحساس بالجذور، استمرارية واضحة. فيما هي تشعر أنها لا تزال تفتش عن مكان لها، جسدياً وروحياً وتمنت لو يكون هذا المكان موطناً لها، تمنت لو تستطيع الانتماء إليه.. تمنت لو أن ماث كينغ يدعوها إلى المزيد من عالمه...

ـ أترغبين في المزيد من العصير؟

جعلها سؤاله تنتبه إلى أنها شربت كل ما في كأسها من دون أن تلاحظ وقالت: «لا. كان العصير لذيذاً، شكراً لك! كل شيء كان جميلاً... الغابة، منزلك، والفاكهة، والجلوس هنا مع هذا المنظر الرائع».

قال: «حتى أنك لم تمانعي بصحبتي».

وأرسلت عيناه رسائل واضحة بما شاركاه في نصف الساعة الأخيرة.

وانكمشت نيكول وهي تفكر بأن عليها أن تبقى حذرة من النتائج «كنت كريماً جداً».

ـ كانت سعادة لي.



وبدا أن ابتسامته تسخر من حذرها: «أترغبين في رؤية الصور الآن؟»

ـ أجل أرجوك!

ضحك وهو يقف عن كرسيه: «تبدين كفتاة صغيرة، ما يجعلني أتساءل كم أنت مليئة بالمتناقضات، نيكول ريدمان».

ردت بخفة، وهي تقف لترافقه: «لست على معرفة بأية متناقضات».

نظر إليها ساخراً وهو يرافقها إلى الداخل: «أنت بكل تأكيد مزيج مثير. وسأجد من المثير للاهتمام أن أغوص في تاريخك، لكن هذا ليس سبب وجودك هنا، أليس كذلك؟».

ـ لا

وما غير هذا تستطيع أن تقول؟ فهذه ليست زيارة إجتماعية. لكن هل يريد حقاً أن يعرف المزيد عنها؟... أم أنه يختبرها مجدداً؟ يتحداها؟ لماذا يجعلها تشعر بالتوتر؟

سارا عبر غرفة الجلوس. وعند أحد أطراف المطبخ، فتح باباً قادهما إلى غرفة مكتب. الجدار البعيد كان عبارة عن واجهة زجاجية مع منظر رائع لغابة المطر في الغرفة طاولة على شكل زاوية وضع عليها جهاز كومبيوتر، طابعة، آلة فاكس، هاتف، وآلة تصوير ناسخة بالإضافة إلى كل المعدات الحديثة التي يحتاجها لإدارة أعماله من بيته وعلى الجدار الآخر انتشرت خزائن ملفات فوقها سلسلة من الصور ضمن إطاراتها، تُظهر مراحل مختلفة من إنشاء الغابة والحديقة العامة.

سحرت نيكول فوراً بما رأت، وشد ماث انتباهها إلى رسم وضع ضمن إطار فوق الطابعة: «يجب أن تري هذا أولاً! إنها الخطة الأصلية. رسمها جدي الأكبر، وعلى أساسها عمل المعتقلون».

كان كل شيء مذهلاً . . . الفكرة، التفاصيل، ورؤيا الرجل.

ـ ألديك صورة فوتوغرافية لهذا؟

ـ أجل، أستطيع أن أعطيك واحدة. والآن لو نظرت إلى فوق هنا ووجهها إلى أول صورة قرب الباب.

ـ أولى النباتات التي غرست هنا هذا «البامبو» السريع النمو. غرس حول محيط المخيم لإخفاء السياج الذي كان يمثل السجن.

وتعجبت نيكول مرة أخرى كم كان فريدريكو ستيفانو فاليري رجلاً عظيماً. راحا يتحركان من صورة إلى أخرى، وماث يشرح القصة وراء كل مرحلة من مراحل بناء الحديقة، ويعطي كل شيء هدفاً إنسانياً لم تستطع منع نفسها من التساؤل عما إذا كانت كفاءته متوارثة، مثلها مثل القوة والإرادة لمواجهة وهزم أي عدو

لم يكن هناك شك بالقوة الجسدية والمعنوية معاً، في هذا الرجل لكن ماذا عن قلب ماث كينغ؟ هل قلبه كبير مثل جده الأكبر؟ هل يحمل اللطف والحنان؟ ما الذي يدفعه؟ هل يقف في نصرة الآخرين؟

وفكرت نيكول أن معظم الناس صغار منغلقون في اهتماماتهم الشخصية. ولا يمشون في الحياة، ليوجهوها بطرق جديدة لمنفعة الآخرين. مع ذلك، فمن خلال ما عرفته عن عائلة فاليري ـ كينغ، استنتجت أنهم يفعلون هذا بالضبط بالتأكيد كانوا يفيدون أنفسهم، لكن ليس على حساب الآخرين أبداً إنهم أناس كبار وبكل ما في الكلمة من معنى!

وانجهت نظراتها إلى ذراع ذات عضلات قوية تشير إلى آخر صورة؛ بشرة سمراء تلمع بقوة وبدت بشرتها بيضاء إلى جانب بشرته؛ بيضاء وناعمة، لم يغيّرها الزمن أو المكان وربما كان التناقض هو الذي يجعله جذاباً إلى هذا الحد.



أنزل ماث ذراعه ولم يعد صوته القوي يضج في أذنيها. رفعت نظرها لتراه يتفحصها بنظراته. ولكونها شردت تماماً عما كان يقول، أمسكت لسانها بدلاً من أن ترتكب غلطة كلامية محرجة.

ـ لدي ملفات الصور الأصلية إذا أردت الاستفادة منها.

لكنها عرفت غريزياً أن ليس هذا ما يدور في خلده. فهزت رأسها: «أفضل أن لا آخذ الملفات الأصلية، إنها ثمينة. لو أمكنك إعطائي نسخاً عنها. . .».

ـ كما تحبين. . سأجيء بها إلى القصر حين أنجزها.

ـ شكراً لك.

ـ هذا كثير عليك. . أليس كذلك؟

ـ ماذا؟

ـ من الإنصاف لجدتي أن تعترفي الآن.

ـ لا أعرف ماذا تعني.

ـ وهل أنا مضطر لإرغامك على الاعتراف؟

وأطبقت يده على أعلى ذراعيها، مما أعطى لتهديده طابعاً أخطر.

ثارت أعصابها: «أظن أن لديك تفكيراً خاطئاً رهيباً. أرجوك دعني أذهب».

وتركها رامياً يديه إلى الأعلى في حركة تدل على نفاد صبر غاضب، ولمعت عيناه بالاتهام: «قد تظنين أن بإمكانك أن تعتمدي على مظهرك وقدرتك على لعب الأدوار، لتنجي بهذا الدور. لكن دعيني أقول لك إن أداءك في هذا المشروع اليوم كان ضعيفاً جداً بالنسبة لي. . ضعيف جداً».

ردت عليه بسخط: «إنها غلطتك. لقد جعلتني متوترة و. . .».

وتراجعت إلى الوراء مشوشة بعنف المشاعر القادمة منه. وكان

الأمر كضربة، جعلت بقاءها معه مستحيلاً. وقضت على المشاعر التي أثارها فيها.

سألته آملة أن تفهم سبب تهجمه: «ماذا أنا.. بالنسبة لك؟».

التوى فمه سخرية: «ذات المرأة الفاتنة التي راقبتها في نيوأورلينز منذ عشر سنوات».

- نيوأورلينز؟

كان هناك حين كانت هناك مع والدها؟

- لا تقولي لي إنها غلطة! صورتك محفورة في ذاكرتي لا تزول

- لا أذكرك.

- لن تذكريني. كنت مقنعاً تلك الليلة.

- أية ليلة؟

- لا بد أنك قضيت عدة ليالٍ تلفقين القصص في جولات التاريخ السياحية. وكنت جيدة جداً في هذا.

ارتفع ذقنها بكبرياء متحدية: «أجل، وماذا في هذا؟ كان الأمر منذ عشر سنوات».

ولم تكن خجلة من لملمة دولارات السواح يومها أكثر مما هي الآن.

لمعت السخرية في عيني ماث: «ألا زلت تلفقين القصص نيكول؟ وتخونين الناس؟ وتجعلينهم يمطرون عليك المال بسرد القصص المزيفة؟ ألا زلت تخدعينهم؟ ألا زالت العيون تُذهل بالمزيج الغريب للبشرة اللؤلؤية مع الشعر الأحمر الملتهب؟»

تحولت الصدمة إلى غضب لتفسيره شخصيتها على هذا النحو ليس لديه أي سبب إطلاقاً للظن أنها محتالة. حتى لو ربحت تلك القصص القديمة، فقد كان ذلك فقط لإضفاء المرح على الجولة



السياحية، وإعطاء الناس المزيد مقابل مالهم.

صاحت نيكول بغضب: «كنت أقوم بعمل، العمل الوحيد الذي وجدته في ذلك الوقت. وكنت أتبع وصفاً مكتوباً أعطي لي، وأنا في الواقع لم أسلب مال أحد. لقد تمتع الجميع بالاستماع إلى تلك القصص».

- والآن أنت مؤهلة تماماً للبحث والكتابة في تاريخ عائلتي؟

بدت السخرية في كل كلمة: «ما عدا أنك لم تُظهري أي كفاءة هذا اليوم».

ردت بحدة، والتوتر الحاد يتصاعد في داخلها: «هذا صحيح! أنا بارعة أكثر في هذا حين لا يكون هناك قوى معادية تعيق تفكيري»

- معادية؟ لقد أعطيتك كل فرصة لتثبتي أنك مؤهلة لهذا العمل لكنك لم تستوعبي أغلب ما كنت أقوله لك هنا.

- كنت أفكر

- بالتأكيد كنت تفكرين؟ وربما كنت تفكرين بما كنت أفكر به؛ علاقة عاطفية.

وتفحصتها عيناه من الرأس إلى القدم، ثم صعوداً مرة أخرى

احترقت بشرتها، وارتجف داخلها، وأصبحت مشاعرها في فوضى كاملة. حدقت به لثوانٍ مدّمرة للروح. الآن قد عرفت، على الأقل، أنها لم تكن مخطئة بخصوص التجاذب الطبيعي بينهما، لكن هذا لم يشعرها بالارتياح. وما من دافع في العالم يجعلها تتحمل أي علاقة معه بعد الآن.

قالت بوقار بارد كالثلج: «أرجوك أن تعذرني. سأذهب لأنضم إلى الجولة السياحية»

الكبرياء الشرسة أعطتها القوة لتسير إلى خارج مكتبه، وتقطع غرفة

الجلوس إلى الطاولة حيث تركت قبعتها وحقيبتها. شمرت بالارتجاف وهي تلتقطها.

- الهروب لن يحل شيئاً.

التشوق الساخر أصابها في وتر حساس، فأدارت رأسها لتعطيه نظرة أخيرة ملتهبة. ووجدته مستنداً على إطار الباب، وقفته المسترخية لم تظهر أي توتر من جهته، ولمحت نيكول ابتسامة صغيرة تتلاعب على شفتيه.

- من الأفضل مواجهة الموقف والتصرف بشكل عملي أكثر وربما يمكنني مساعدتك.

اشتد ضغطها على فكها لهذا العرض. ثم تمكنت من أن تقول: «شريطة أن أقيم علاقة معك؟».

مسح هذا الكلام الابتسامة عن وجهه: «أنا لا أبادل الأشياء بخدمات عاطفية نيكول».

- ولا أنا. ولطالما وجدت أن الأحكام الجائرة المسبقة لا تحل شيئاً. أرجوك، تفحّص أوراقي المهنية مع جدتك قبل أن نضطر إلى اللقاء مرة أخرى. فأنا أرفض أن أتلقى اتهاماتك في المستقبل

ولم تهرب، بل خرجت من منزله بأسرع ما تستطيع. ولم يخرج وراءها. وكانت ممتنة كثيراً لهذا لأنها كانت على حافة الانفجار بالبكاء... الغضب، الإحباط، وخيبة الأمل كلها كانت تتقلب في داخلها. وكرهت نفسها لإعطائه أي سبب ليظن ما ظنه.

لن تكون تحت تأثير رجولته العدوانية بعد الآن. فليحاول الاقتراب منها مرة أخرى، ولسوف تجمّده إلى الأبد!

* * *



## ٧ - مفاجأة.. وتراجع

أقنع ماث نفسه وهو يقود سيارته لحضور غداء الأحد، أنها ثلاث ساعات لا يمكن تجنبها وقد تكون أربعاً على أبعد تحديد! سيمر هذا اليوم الطويل مع عائلته دون أن يقوم بخطوة خاطئة مع نيكول ريدمان وقد يتظاهر بالاهتمام بعملها، بتهذيب يكفي لإرضاء جدته، ثم يقضي بقية الوقت متحدثاً إلى أخويه

لن يطلق أية أحكام اليوم، بل سيدع نيكول ريدمان تغلي في قلقها لقد جاء بالصور، والخطة المصورة التي طلبتها وهكذا سيكون واثقاً من أنها لن تسعى إليه، وليكن ملعوناً لو لاحقها هو لأي سبب آخر

كم مرّ من الوقت، عشرة أيام منذ واجه خداعها؟

يا لجرأتها في لومه على قلة اهتمامه بالمشروع! كانت كالهاوية تماماً وهي تلتقط الصور في الغابة لا موضوع مكتوب، لا هدف، بل مجرد صور عشوائية وتسميته بالقوى المعادية هه! لم تفكر أنه عدواني وهما يتشاركان طبق الفاكهة على الشرفة

من المؤسف أنه لم يستغل الفرصة ساعتها ولحظتها. ولقد ذهبت هذه الفرصة الآن حقاً

من الأفضل له أنه لم يتورط معها فعلى الأرجح أنها غشاشة حتى على هذا المستوى أيضاً ربما هي تعد بأكثر مما تعطي، فنادراً ما ينطبق الواقع على الخيال

يمكن لجدته أن تحتفظ لنفسها بنيكول ريدمان. ومن الآن فصاعداً ما عليها سوى القبول بأن مشروعها للزواج قد فشل، لا ضرورة لنشر تاريخ العائلة عند نهاية عقد نيكول.. يمكن المجيء بشخص آخر ليصححه وهذه ليست كارثة، بل فوضى بسيطة يمكن للجميع إعادة تنظيمها.

وعلى جبهة الزواج، فهناك ما سيخفف من خيبة أملها معه فهذا الغداء جاء نتيجة ضغط طوني عليه ليحضره لقد أخبره أن هانا تتوقع أول مولود لهما. فهانا كانت تريد مجموعة من الأولاد، لأنها حُرمت من العائلة الكبيرة عندما كانت صغيرة وأعلن طوني أنه متحمس للاستجابة لها. ثلاثة أشهر من الزواج، هو وقت كافٍ لهانا لتحمل

لذا فاليوم يجب أن يكون يوم الأسرة السعيدة لنونا فقد أحب لها أليكس وجينا حفيدين، وها هي هانا تعد بحفيد آخر. كما أن لديها الكثير من الأمور الجيدة لتركز عليها. يمكنها التمتع بما باركها الله به وتنسى موضوعه لفترة، لفترة طويلة .. وسوف يتزوج في وقت ما من امرأة يختارها بنفسه.

أدخل سيارته إلى الموقف الخاص خلف القصر لاحظ أن سيارة أليكس المرسيدس كانت هناك، وطائرة الهليكوبتر التي يملكها طوني جاثمة في مكانها أيضاً. إنه الواصل الأخير هذا أمر جيد. من السهل أن تضيع نيكول ريدمان في الجمع مع ذلك، ماذا لو أجلسته جدته إلى جانبها على مائدة الطعام؟ وصرّ ماث على أسنانه وهو يعرف أنه لن يستطيع تجاهلها تماماً

سار نحو المطبخ مستخدماً المدخل الخلفي لا بد أن يجد هناك روزيتا التي تعرف كل شيء. يود أن يعرف ما يجري في القصر قبل أن يدخل. روزيتا ليست الطاهية ومديرة المنزل هنا في القصر لعشرين سنة



فقط، بل هي أقرب مؤتمنة على أسرار الجدة. فهي تشاركها الإرث الإيطالي ذاته، وتتعاطف دائماً مع خططها.

كانت تقف وراء طاولة المطبخ الطويلة، تتذوق سلطة قد أعدتها لتتأكد من صحة مكوناتها. ابتسم ماث لها، فروزيتا تحب الطعام ولا تمانع كونها سمينة بسببه. لطالما تناول ماث وأخواه وجبات عظيمة في هذا المطبخ.

قال ممازحاً: «هل تتقنين صنع السلطة بشكل صحيح؟»

- إنها السلطة الخاصة بهانا، مزيج من الملفوف، المعكرونة، الجوز لكنك لا تريد معرفة هذه الأمور. ما أروع أن أراك ماثيو!

- وأنت كذلك روزيتا

وضمها بسرعة «كيف تسير الأمور هنا؟»

- أوه عمل، عمل، عمل! ستجد الجميع في غرفة البليارد

وأدهشه هذا: «ولماذا غرفة البليارد؟».

ولم يستطع تصور أليكس وطوني يلعبان البليارد اليوم.

- إنه المكان الذي تعمل فيه نيكول على تاريخ العائلة جدتك تريهما ما تمّ إنجازه حتى الآن.

قال ساخراً: «حسن جداً، يجب أن يكون هذا مهماً»

وتساءل كيف ستتمكن نيكول من إقناعهم أنها أنجزت أي شيء

هزت روزيتا رأسها معترضة: «تلك الفتاة تعمل بكثير من الجهد، فتبقى مستيقظة كل ساعات الليل أنا أعد لها العشاء لكنها في كثير من الأحيان تنسى أن تأكل»

علق ماث ساخراً: «وهذه تعد جريمة بالتأكيد».

أبعدته عنها قائلة: «أوه، اذهب من هنا ولا تطل الغيبة مرة أخرى! غبت أكثر من شهر»

قال وهو يغادر المطبخ: «مشغول، مشغول، مشغول».

وسمعها تتمتم: «الشبان.. إنهم دائماً في عجلة من أمرهم».

لكن ماث لم يستعجل الدخول إلى غرفة البليارد. بدا مذهولاً بالصورة التي رسمتها روزيتا لنيكول ريدمان. تعمل بجهد؟ ولماذا تشغل مثل هذه الغرفة الكبيرة لهذا المشروع؟ كيف تبرر هذا؟

كان الباب مفتوحاً، ولم تلاحظ بقية العائلة دخوله. كان اهتمامهم مركزاً على طاولة البليارد التي كانت لا تزال تحتفظ بغطائها. نظرة شاملة سريعة أنبأت ماث أن نيكول ريدمان ليست موجودة، ما جعل تحيته أكثر استرخاء.

وسار إلى الأمام: «مرحباً! ما الأمر العظيم هنا؟»

رد الجميع معاً بقول مرحباً، وحثّوه ليقف وسطهم لينظر إلى ما كان يذهلهم: سطح طاولة البليارد كان يحوي على تاريخ مرسوم للعائلة. عرض مكثف لصور قديمة، رتبت حسب تسلسلها الزمني، مع وصف مطبوع لما تمثله كل صورة، ولم يكن ماث قد شاهد هذه الصور ولو أنه شاهدها فهو لا يتذكرها. ولم يستطع سوى أن يعلق. «هذا عظيم نونا».

ـ أمضينا، أنا ونيكول، أسابيع ونحن نفتش في الألبومات والصناديق القديمة، لانتقاء أفضل الصور.

وقرر ماث أن هذا الإنجاز هو من عمل جدته لا من عمل نيكول. أشار له طوني لينظر إلى لوحة بيضاء أخذ يتفحصها.

ـ أنظر إلى خطوط الزمن ماث. كل التواريخ الكبيرة مرتبة الحروب، المعارك، المافيات، الأعاصير، التقدّم الكامل لصناعة السكر في وقت كانت فيه المزارع الأخرى تنمو لتوها وفي هذا الجانب من الخط، مذكرات حول ما كانت العائلة تقوم به خلال تلك



الأوقات الخطيرة. مجرد خطوط عادية، لكنها تكتب تاريخ العائلة برؤية عصرية أليس كذلك؟

وكانت هكذا فعلاً. واعترف ماث أن هذا تلخيص مؤثر، وبرمجة منطقية جداً في ترتيب القصة كلها. ملأ إحساس بشعور ملح أنه قد يكون أساء الحكم على نيكول ريدمان. مع ذلك، إذا كانت قادرة حقاً على القيام بهذا العمل، فلماذا كانت متوترة جداً خلال زيارتها لكاوري كينغ بارك؟

ذكّره بالرزمة التي يحملها. فاستدار إلى جدته: «لدي المزيد من الصور هنا، لقطات لبناء الحديقة العامة. طلبت نيكول مني أن أحضر لها نسخاً عن الأصلية ونسخة عن المخطط. أين أضعها؟».

ـ على منضدتها، شكراً لك ماثيو.

رأى ماث أن منضدة كبيرة جيء بها ووضعت تحت النافذة في طرف الغرفة. عليها كومبيوتر نقال، وأكوام من الملفات السمراء، وطابعة، وكومة شرائط مسجلة. كان أليكس يبحث فيها، فيلتقط كل شريط ويقرأ ما كتب عليه. سأله ماث وهو يضع الرزمة إلى جانب الكومبيوتر: «ما هو ذوق نيكول ريدمان في الموسيقى إذن؟».

ـ هذه ليست موسيقى، إنها مقابلات مع العائلات القديمة في المجتمع الإيطالي. ونونا تقول إنها ذهبت لإجراء مقابلة أخرى اليوم.

ـ ألن تنضم إلينا للغداء؟

ساورت ماث مشاعر مختلفة عما إذا كان يريدها هنا أم لا. ومن السهل عليه أكثر أن لا تكون هنا. لكن إذا كان قد أساء الحكم عليها، فيجب أن يعتذر.

ـ لا لقد ذهبت إلى جونتون شاير، على بعد ساعتين في السيارة، ولن تعود إلا في وقت متأخر بعد الظهر على ما أظن.

لقد تخلص منها، إلا أنه لم يشعر بالارتياح. وقال أليكس بإعجاب: «لقد جمعت بكل تأكيد الكثير من المواد في الشهر المنصرم».

رد ماث بحدة: «أجل.. لكن هل يمكنها أن تكتب؟».

نظر أليكس إليه مجفلاً: «ألا تعلم..؟»

ثم قال عابساً: «آه صحيح، أنت لم تكن حاضراً يوم قدمت نونا نيكول لبقية العائلة. أحد الأسباب لاختيار نونا لها لتقوم بهذا كان السيرة الذاتية التي كتبتها عن والدها».

كرر ماث مذهولاً بهذه المعلومات الجديدة: «سيرة ذاتية؟».

- أجل.. واسم الكتاب «طبول أولي». كان والدها عازف جاز.

جاز.. نيوأورلينز!

سأل شقيقه الأكبر بحدة، وهو من يحزم رأيه دائماً: «وهل قرأته؟»

نظر إليه أليكس ضاحكاً: «لا يمكن لأحد أن ينجز السيرة الذاتية إلا إذا كان بارعاً بالكتابة، ماث. إضافة إلى هذا، نونا قرأتها وأرضتها».

«طبول أولي»... وطبع ماث العنوان في ذاكرته. يجب أن يحصل على هذا الكتاب، ويقرأه بنفسه. قوة تلك الفكرة أعطته وقفة للتفكير فما الفائدة من ملاحقة المزيد من المعلومات عنها؟

وشطب اسم نيكول من دفتر مذكراته، ماذا في هذا؟ ألم يقرر أن أي نوع من العلاقة معها غير وارد؟

لكنه لا يحب أن يشعر أنه غير منصف، فالظلم من أي نوع كان جريمة بالنسبة له. من ناحية أخرى، لقد أعطته كل الأسباب ليظن بها هذا، واتهمته بالعدوانية وأنه يجعلها متوترة، وهذا كلام تافه تماماً.

قال أليكس وهو ينظر إليه باستغراب: «أنت تخرج عن صوابك إذا ظننت أن نيكول إيدمان غير مؤهلة لهذا العمل».



- لم أقل هذا.

ارتفع حاجب أليكس متحدياً: «لديها مقدار كبير من الدرجات الجامعية: التاريخ، علم الأنساب، الأدب».

لكن الدرجات الجامعية يمكن تزويرها. فمع الكومبيوتر هذه الأيام، يمكن لكل شيء أن يبدو حقيقياً أيضاً.

وأكمل أليكس: «ولقد علّمت عدة فترات دراسية في كلية «ناف» ومؤهلاتها عالية جداً. ونونا محظوظة لأنها حصلت عليها».

لم يكن في كلامه ولو لمحة شك بأن نيكول ليست كما قدمت نفسها. وإذا كان أليكس قد خدع بها، وهو غير مستهدف في أي خطة للزواج، فيجب إذن التسليم بأن نيكول تملك فعلاً القدرة على القيام بهذا العمل. وهذا يعني أن عليه الاعتذار.

وكلما كان هذا أسرع كان أفضل في الواقع. ولربما خرجت اليوم لتتجنب وجوده. إن خروجها إلى العمل يوم الأحد يمكن أن يفسر على أنه لطخة على وجهه لشكه في قدرتها على إنجاز المشروع.

وأحس فجأة أن غيابها مسألة شخصية، ولم يعجب ماث هذا أبداً، فلم يسبق أن وصفه أحد بالعدوانية، مع كل هذا، لا مجال أمامه سوى الاعتذار، فأمام نيكول خمسة أشهر أخرى لإتمام هذا المشروع.

يجب مواجهة هذه العقدة والتعامل معها، اليوم!

حتى لو اضطر إلى الانتظار ساعات لتعود إلى القصر.

* * *

## ٨ ـ لحظة الحقيقة

نظرت نيكول إلى ساعتها وهي تقود سيارتها باتجاه القصر واتجهت إلى منطقة وقوف سيارات العائلة في المؤخرة إنها قرابة الخامسة، وقت متأخر بما يكفي ليكون الجميع قد ذهب إلى منزله ولو أنها لم تكن تمانع في إلقاء التحية على أخوي ماث كينغ الكبيرين لقد أحبت زوجتيهما، فجينا دافئة القلب حقاً، وهانا تبدو متدفقة بالحياة وربما تزيد حيويتها الآن أكثر إذا كانت تتوقع طفلاً. كما تشك السيدة كينغ.

ما من شك أنها ستسمع كل أخبار العائلة وهي تتناول العشاء الليلة لكن وجود ماث كينغ على الغداء كان سيفسد كل شيء بالنسبة لها على أي حال ولو جلس إلى جانبها على مائدة الطعام وارتجفت للفكرة، إنه موقف لا يحتمل أبداً

اطمأنت حين رأت أن مهبط الهليكوبتر فارغ بدا واضحاً أن طومي وهانا طارا عائدين إلى منزلهما في مزرعة الشاي في «كايب تريبيولايشن»، ولم تكن سيارة البكس «المرسيدس» في الموقف تلك السيارة الوحيدة المتوقفة أرسلت في قلب نيكول ارتجافة فوية سيارة «ساب» بلون أخضر كالعادة، خيار مثالي لأغنى فاتر وثري مثل ماث كينغ



أوقفت سيارتها «التويوتا» المتواضعة إلى جانب تلك السيارة وهي تشعر بالتوتر يتصاعد في داخلها. لم تكن متأكدة أن السيارة الرياضية له لأنها لم تره من قبل يقود سيارة، مع ذلك فلا أمل لها أن تكون لسواه.

من الأفضل الافتراض أنه بقي مع جدته، فعليها أن تبقى بعيدة عن المكان الذي يمكن أن يكونا فيه. ولو استطاعت التسلل بصمت إلى الطابق الأعلى وإلى خلوة غرفة نومها.. لا! هذا سيعني المرور بالمكتبة، ربما يمكن أن تتسلل إلى غرفة البليارد دون أن يراها أحد.

ضربت نيكول المقعد قرفاً من هذه الأفكار الجبانة. لماذا تسمح لنفسها بأن تخاف من ماث كينغ؟ هو من أخطأ بحقها. إنها لا تريد بكل تأكيد أن تلقاه مجدداً، لكن من غير المنطقي أن تضطر إلى الانكماش، فيما يحق لها تماماً أن تتمسك بموقفها.

صممت أن تتصرف بشكل طبيعي. نزلت من سيارتها لتسير إلى داخل القصر، وتتجه إلى غرفة البليارد حيث ستفرغ محتويات حقيبتها من المواد التي جمعتها اليوم. وهذا يعني المرور عبر المطبخ حيث تعمل روزيتا. وكان ارتياحها كبيراً لأن تجد مدبرة المنزل لوحدها قالت روزيتا بلهجة الرضى. «آه! لقد عدت!»

وكأن نيكول «طائر» متمرد عاد إلى عشه.

ـ أجل، عدت هل تتوقع هانا طفلاً روزيتا؟

صفقت روريتا يديها بانتصار «إنها حامل منذ شهرين! هذا خبر سعيد جداً».

ـ كم هذا جميل!

ـ وماثيو لا زال هنا يتحدث إلى جدته. إذا أردت الخروج إلى الظليلة والانضمام إليهما، سأحضر لكم المشروبات الطازجة.

ردت نيكول بسرعة: «أفضل أن أتركهما يستمتعان بصحبة بعضهما روزيتا. لدي عمل أنجزه على الكومبيوتر بينما لا تزال المعلومات طازجة في ذاكرتي».

ظهرت عدم الموافقة على روزيتا، لكن نيكول كانت قد غادرت قبل أن تتحضر روزيتا للجدال. فهي تعرف رأيها بأن هناك في الحياة ما هو أهم من العمل، خاصة لامرأة شابة لم تكن بعد محظوظة بما يكفي لتجد زوجاً يعتني بها.

بينما كانت نيكول تسير في الردهة إلى غرفة البليارد، فكرت بتجهم. لو كانت روزيتا ترشح حفيد مخدومتها الثالث للقيام بهذا الدور، فسوف تصاب بخيبة الأمل، إذ لا مجال للتفكير بالزواج في هذا الجو المتشنج.

في الواقع، فكرة الانضمام إلى ماث كينغ بأية صورة أثارت فيها توتراً كبيراً. كان يمكن أن تنهار أعصابها لو أنها خرجت إلى الظليلة أقفلت باب غرفة البليارد بشدة خلفها، وهي ترجو أن يحافظ عدوها على مسافة منها، لأنها غير مستعدة لتعاني المزيد من المس بكرامتها

إذا كان قد تأكد من مؤهلاتها اليوم، فهي تأمل أن يعذبه شعوره بالذنب، ولو أن هذا الأمر بعيد الاحتمال، فهو متعجرف وشديد الثقة بنفسه. وأطلقت نيكول تنهيدة كبيرة لتنفس الغضب المتصاعد في صدرها وهي تسير نحو منضدتها.

هذا يكفي!

كم ليلة ظلت مستيقظة وهي تشعر بالغليان بسبب آخر لقاء لهما؟ كان مضيعة للوقت والطاقة، فالرجل لا يستأهل التفكير به ومن الغباء المطبق أن تدعه يدخل تحت جلدها كما فعل.

أدارت الكومبيوتر بقوة أكثر من اللازم، وكأنما عملها هذا يبعد عن



تفكيرها أي صلة بماث. وقع نظرها على رزمة غريبة على منضدتها، برزت منها اسطوانة طويلة من الكرتون. قطبت لرؤية شعار كاوري كينغ بارك عليها، فوضعت حقيبة أوراقها على الأرض. ثم تذكرت دونما ارتياح أنها طلبت من ماث كينغ نسخاً من الصور والخريطة الأصلية للغابة. هل أوصلها بنفسه؟

وانكمشت يداها. لا تريد أن تلمس أي شيء كان قد لمسه. هل أدخل هذه الرزمة إلى هنا بنفسه وغزا منطقة خلوتها، وتجسس على ما قامت به من عمل؟ جالت نظرها في الغرفة بسرعة، تفتش عن أي شيء ليس في مكانه... الرزمة فقط! مع ذلك، وبطريقة ما، أحست بالجو مشحون بوجوده.

بدا لها الجو مثيراً للأعصاب. نظرت إلى اللفافة وهي تقول لنفسها إن محتوياتها غير مؤذية أبداً، وستستخدمها بشكل فعال. سوف تُظهر لماث كينغ كم هي خبيرة في مهنتها، حتى لو لم يتراجع عن حكمه المهني عليها.

سوف يعترف بحطئه ما إن ينشر كتاب التاريخ، فلا مجال لتكذيب هذا الدليل وفي النهاية ستنتصر المشكلة الوحيدة كانت أن كل هذا لم يخفف الألم.

أرسل قرع على الباب رجفة مؤلمة عبر قلبها. ليس هو، أرجوك! ليس هو... وأخذ تفكيرها يتوسل وهي تسمع صوت فتح الباب.

ـ نيكول؟

إنه صوته! أرادت أن تتجاهله، لكن ماذا يفيدها هذا؟ فهو لن يتردد في أن يدخل ويفعل ما يريد. واستطاعت الإحساس بطاقته الشرسة تطغى عليها وتطالبها بالاعتراف بوجوده.

ـ هل لي أن أدخل؟

السؤال المهذب قاطع موجة الرفض في رأسها، وبسرعة قالت لنفسها إن هذا مجرد تهذيب مصطنع. فالطبيعة المفترسة لهذا الرجل لن تقبل ببساطة رداً سلبياً. مع ذلك، فإن أخلاقها الحسنة تلزمها بمواجهته والرد عليه. رفعت كتفيها غريزياً، تقوي نفسها ضد تأثيره الصادم لكن كان من المستحيل أن تهدىء قلبها. واستدارت نصف دورة، بما يكفي لتراه وتراقبه.

ـ ماذا تريد؟

بدت كلماتها وقحة، لكنها لم تهتم لها. لماذا عليها أن تنتظر هجومه؟ من الأفضل إنهاء الأمر بسرعة. أقفل الباب خلفه، ليتأكد من خلوتهما بدت على وجهه نظرة تصميم متجهم ما تسبب بتقلص معدة نيكول. وأجبرت نظرها على تفحصه من الرأس حتى القدم، كما فعل بها في آخر لقاء لهما. لكن لم تكن هناك رغبة حسية وراء حركتها، بل حاجة إلى تحويله إلى مجرد جسد بمعزل عن القوة الكامنة وراء عينيه إلا أن ما نظرت إليه، لم يكن مجرد جسد، بل كان مثالاً للقوة وصدمها أنها لا تزال تشعر بانجذابها إليه.

ـ أريد أن أعتذر.

وصلت الكلمات بهدوء عبر الغرفة. ونسللت مهدئة في أذنين تضجّ فيهما ضربات قلبها الصارخة وتساءلت نيكول عما إذا كانت قد تخيلت ما سمعت. رأت يديه ترتفعان في إيماءة منفتحة للتوسل. مما أعطى بعض المصداقية لما سمعت وارتفعت نظرتها إلى فمه تنتظره أن يتحرك، ليقول المزيد وليخفف من الإهانة العميقة التي نسبب بها

ـ أنا آسف.. لقد اتهمتك أنك لست ما تدعين. والسبب أن ذكرى تلك الليلة أثرت على حكمي

جاء كلامه كالضغط على رناد بندقية صيد محشوة برصاص حراق



وسألته بحدة: «ذكرى! أنت لم تتوقف حتى لتسألني لماذا كنت أفعل ما أفعل في نيوأوليتز. أنت لا تعرف شيئاً عني سوى..».

وبرزت أسنانها بتكشيرة ساخرة متوحشة: «... أنك رأيتني صدفة تلك الليلة، أقود جولة سياحية للتاريخ القديم».

أجفله ردها، لكنها أكملت هجومها: «ومن أجل هذا، قررت أنني لست أفضل من غانية، أمارس الخداع، أسلب الناس، وأستخدم الجاذبية التي أملكها لأتخلص من المشاكل».

رد بحدة، مقطباً أمام عنف الهجوم: «أنا لم أقل هذا».

ـ لقد فكرت به ولم يكن لك الحق بأن تفكر به، ولا سبب يدعو للظن به، كنت أنت.. أنت من تجاوز الحد معي، حتى إنك اقترحت

تصاعدت موجة حرارة من عنقها، وتدفقت إلى خديها.

أخذ نفساً عميقاً، وقال بهدوء: «أنا آسف إذا كانت تصرفاتي جعلتك لا تشعرين بالراحة»

وجعلها هدوؤه تفقد عقلها، فاتهمته بجنون: «أنت تعمدت القيام بهذا، وتعرف ذلك جيداً، حتى في مكتبك، لماذا لم تعد إليّ قبعتي بدلاً من..»

ـ لم يكن الأمر متعمداً، بل كان تصرفاً عفوياً.

ـ وأنا لم أكن السبب.

ـ لا، لم تكوني السبب.

وإلتوى فمه سخرية: «ما عدا أنك امرأة جذابة بشكل مميز».

هزت رأسها دون أن تقبل هذا العذر: «تصرفك هذا دلّ على نقص الاحترام اللائق بي».

بدا لها أن ماث كاد يفقد سيطرته على نفسه: «أوه.. هيا الآن

نيكول!».

وبدأ يسير نحوها، مشيراً بهزء لاتهامها له. «لا يمكنك تسمية وضع قبعتك على رأسك وملامسة شعرك تهجماً، كما أنك لم تجفلي مبتعدة في الواقع...».

ردت بحرارة: «حسن جداً، أرجو أن تأخذ ملاحظة بتصرفي الآن على الفور ماث كينغ».

وسارت متعمدة إلى الطرف الآخر من طاولة البلياردو لتكون حاجزاً بينهما، وقالت بحدة: «أنا لا أريدك بقربي»

توقف ماث، ولمعت سخرية سوداء في عينيه قبل أن يرد بحدة «عظيم! علي أن أعطيك علامه كاملة على لعب دور ملكة الدراما»

ردت ساخرة «يا له من اعتذار!»

- من المؤسف أنك لم تكوني لبقة بما يكفي لتقبيله

ارتفع ذقنها تحدياً «وما قيمته وأنت لا تزال تصعي بحب الاتهام ولا تعترف بأي خطأ من جانبك!»

- ربما وضعتك تحت الاتهام سيدي، لكنك ساعدتني على هذا بعد أن تخليت عن احترافك المهني في الحديقة العامه

- وقبل ذلك؟ ذكرياتك من نيوأورليز؟

اعترف «أجل».

ولم يكن ذلك أكثر من نظرة سطحية إليها بينما ذكرياتها والحزن الذي تحمله، لا تزال تؤلمها

سألت. «وماذا كنت تفعل هناك منذ عشر سنوات؟»

مع أنها لا تزال تبغض بشدة تفسيره لنظرته الحقيرة إليها

أجابها بهزة من كتفه «أتفرج على العالم قبل أن أستقر للعمر في مصالح العائلة».



طيش شباب مجنون، خالٍ من الهموم تماماً! التناقض بينهما لا يمكن أن يكون أوسع.

وتجمعت المشاعر وهي تتذكر ثقل مسؤولياتها تلك السنة ونظرت مباشرة إلى ماث كينغ تريد أن توصل إليه بقوة كم كان مخطئاً لكن حتى هو تلاشى من تفكيرها، وهي تتكلم، والذكريات تزداد حدة، وتستولي عليها، وكأنها لم تعد تستطيع السيطرة على صوتها «حسن جداً. وأنا كذلك كنت في عمل عائلي كان والدي يموت بالسرطان، وآخر أمنية له كانت العودة إلى نيوأورلينز. كان والدي عازف جاز. ونيوأورليز كانت مدينة روحه ولم يكن معنا مال كثير، لكنني أخذته إلى هناك وحصلت على ما استطعت من عمل للمساعدة في معيشتنا كان يجلس كل ليلة في «بريزا فاشن هال» في مواجهة متجر «ريفرند رومبي» للتماويد السحرية، حيث تبدأ جولات السياحة للتاريخ القديم وتنتهي. ولمعلوماتك فإن «بريزا فاشن هال» مكان يحترمه موسيقيو الجاز في كل العالم. إنه المكان الذي.»

قاطعها: «أعرف. لقد دخلته في إحدى المرات»

وحدقت به متسائلة عما إذا كان قد رأى أو قابل والدها، أو سمعه يعزف وارتفعت غصة إلى حلقها، فاضطرت إلى الابتلاع بقسوة لتستعيد صوتها «في بعض الليالي. حين لم يكن والدي مريضاً جداً. كان يدعى لعزف الطبول كان عازف طبل جاز عظيم»

تمتم ماث «طبول أولي»؟»

. أتعرفه؟ هل سمعته يعزف؟

هز رأسه «أعرف فقط الكتاب الذي كتبته»

وعشت الدموع عينيها «الكتاب؟ كان عبقرياً مع الطبول. شهادة الجميع»

ـ هل مات هناك؟

هزت رأسها إيجاباً محاولة كتم الدموع، لكنها كانت ترى فرق الجاز تعزف في الشوارع خلف النعش. وبقيت الدموع تتجمع، وتتجمع.

ـ أنا آسف نيكول. أنا حقاً آسف!

قالت بصوت مخنوق، فهي لا تريد أن تبكي أمامه: «أرجوك اذهب».

تردد لحظة، ثم قال بصوت خشن: «صدقيني.. لك كل احترامي».

ومن دون أن يضيف كلمة، غادر الغرفة وأغلق الباب بسرعة ليعطيها الخلوة التي تحتاجها. كان صدرها ضيقاً إلى درجة أنها شعرت به كخزان على وشك أن ينفجر. تحسست طريقها حول طاولة البلياردو لتصل إلى المقعد أمام منضدتها ونهاوت عليه. ولم تر اللفافة البلاستيكية التي تحمل شعار كاوري كينغ بارك هذه المرة، فهي لم تكن قادرة على رؤية شيء. لقد مضت عشر سنوات منذ دفنت والدها. لكنها أحست كأن هذا حصل بالأمس. غمرها إحساس بالوحدة، إحساس غامر بأن ليس لديها شخص تحبه أو يحبها.

***



## ٩ ـ فلتسقط الحواجز

ما إن توجه ماثيو إلى غرفة البلياردو حتى انتقلت إيزابيلا فاليري كينغ من الظليلة إلى المكتبة. جلست وراء منضدتها، وفتحت مفكرتها وكأنها مهتمة بالعمل لكن العمل لم يكن في تفكيرها خلال هذه اللحظات، بل كل ما يشغلها هو لقاء ماثيو ونيكول

من الواضح أن هناك متاعب بينهما، ما يدل على أنهما على صلة على المستوى الشخصي لكن من دون نتيجة جيدة حتى الآن

كانت نيكول تتصلب مجفلة كلما ذكر اسمه، خاصة بعد أن زارت الحديقة العامة وقد أصرّت على العمل اليوم، محتجّة بأن أيام الآحاد هي الأفضل لتبادل الحديث مع العائلات الإيطالية القديمة مع العلم أن أفراد العائلة الحاليين الذين تكتب عنهم مجتمعون هنا، وهذه فرصة سهلة للحصول على ما لديهم حول أي وجه من وجوه التاريخ

إن إصرار نيكول على الخروج ورفضها الانضمام إليهم على الغداء، يدل أنها تريد تجنب ماثيو بأي ثمن. فيما هو مصمم على اللقاء بالقوة يتضح ذلك من بقائه في القصر لمدة طويلة كما فعل والتصرف كأنه قطة على صفيح ساخن، حين أبلغتهما روزيتا أن نيكول عادت

لا بد من وجود عاطفة وراء هذا القرار القوي! هذا ما قررته إيزابيلا لا يمكن أن تصف تصرفهما هذا باللامبالاة وهنا يأتي دورها في توجيه العاطفة في اتجاه إيجابي أملت أن يكون ما يجري الآن في

غرفة البليارد، لمصلحة تجاوز السلبيات

وشكت إيزابيلا أن تكون الكبرياء عاملاً كبيراً هنا. من المؤسف أنها لا تعرف ما الذي تسبب في تفجير الصراع بينهما، لكن ما من أحد منهما سيرغب بالتدخل من جهتها على أي حال. ولو أنها بالطبع تستطيع توفير الفرص على مراحل ليصلا إلى بعضهما، هذا إذا إرادا.

من الواضح أن ماثيو كان شارداً اليوم، ولم يكن مرحاً كعادته. بدا متجهّماً لغياب نيكول كما استنتجت إيزابيلا. حتى الاحتفال بحمل هانا لم يرفع معنوياته طويلاً والحديث الممازح مع أخويه بدا إجبارياً، كما أن حديثه معها بعد ذهاب الجميع كان متقطعاً يتخلله صمت طويل. لكنه عاد إلى نشاطه المشرق بعد إعلان روزيتا أن نيكول ذهبت إلى غرفة البليارد لتعمل، فسارع إلى القول: «سأتأكد فقط أن الآنسة ريدمان لديها كل شيء تحتاجه مني قبل أن أغادر».

كانت إيزابيلا تجيل النظر في هذا الأمر حين ظهر ماثيو بباب المكتبة. وعلى الفور أملى عليها تفكيرها أن تراقبه مراقبة متمددة

- أنا ذاهب نونا. كان غداءً عظيماً. وأخباراً سعيدة عن الطفل لا بد أنك مسرورة.

جمل قصيرة مختصرة... تمدد فمه في ابتسامة لكن دون أثر في عينيه. كان التوتر ينضح منه وهو يقطع الغرفة بسرعة ليودعها بقبلة على خدها

- أجل، أنا مسرورة لأنطونيو وهانا هذا ما كانا يتمنيانه.

وتمنت لو يفضي ماثيو إليها بما يريد.

إنه لم يكسب ما ذهب لكسبه من نيكول ريدمان قبل وجبتها من دون إحساس، أداء سريع لما هو متوقع منه قبل أن يغادر من الواضح أن تفكيره مشغول بأفكار غير سعيدة. وتكلمت إيزابيلا بسرعة لتبقيه



معها طويلاً بما يكفي للتأكد من مزاجه نحو نيكول: «كنت أتطلع في مفكرتي لتوي».

- همم...

لا اهتمام!.

- أعتقد أنك سجلت تاريخ ليلة أول عرض لجينا في مفكرتك.

توقف إلى جانب المنضدة، مقطباً. كان قد نسي تماماً أمر الظهور الأول لزوجة أخيه على مسرح «غالكسي» في «بريزبن».

- ومتى سيكون العرض؟

- بعد أسبوعين من يوم الخميس القادم. لقد حجزت ستة مقاعد على الطائرة إلى بريزبن بعد ظهر ذلك اليوم.

- ستة؟ ألن يكون أليكس وجينا هناك مسبقاً؟

- طبعاً. في الواقع سيأخذ أليكس الأولاد إلى هناك أيضاً خلال الأسبوع الأخير من التمارين، فهو لا يريد أن تقلق جينا في وقت تحتاج فيه إلى التركيز على غنائها. يا له من دور كبير! لعب دور ماريا في مسرحية «ويست سايدستوري».

قال ماثيو من دون اكتراث: «صوتها يؤهلها لذلك»

ونظر إليها متفرساً: «إذن، لمن هي المقاعد الستة؟ طوني، هانا، أنت وأنا»

- روزيتا ونيكول

صمت قليلاً ثم بصوت خلا من أي تعبير سأل: «وهل ستذهب نيكول؟».

لاحظت إيزابيلا أنه لم يقل الآنسة ريدمان هذه المرة: «أجل، إنها متحمسة جداً لسماع جينا تغني، ولرؤية إخراج بيتر أوين للمسرحية. إنه رجل ساحر لقد جاء إلى هنا نهاية الأسبوع المنصرم للبحث في

بعض تفاصيل الإخراج مع جينا، ثم جاء يزورني وأعطى نيكول دعوة شخصية لحفلة ما بعد الافتتاح التي سيقيمها، وبدت مسرورة جداً لقبولها».

اشتد ضغط ماثيو على فكه.

لبيتر أوين سمعة «صارخة» جداً كونه كازانوفا هذه الأيام. وكان أليكس فيما مضى يغار من صلته المهنية مع جينا، ودفعه هذا إلى إعلان حبه لها على الملأ. وتذكرت إيزابيلا أن نزعة المنافسة تجري في دم كل حفيد لها، وهكذا قد ينفع سحر بيتر أوين في إخراج مشاعر ماثيو نحو نيكول.

وتابعت: «لقد حجزت كذلك غرفاً في فندق لنا جميعاً تلك الليلة، فهل يناسبك هذا أم لديك خطط أخرى؟»

هبط حاجبه اكتئاباً، واستمر صمته طويلاً، فاضطرت إيزابيلا لتعليق حاد: «لا يمكنك أن لا تحضر العرض الأول ماثيو ولو لدعم جينا فقط. يجب أن تذهب»

لوّح بيده في الهواء: «لا مجال للسؤال نونا. سيقتلني أليكس إذا لم أذهب».

- حسن جداً. ما المشكلة إذن؟ تبدو مشغول البال.

كشر: «آسف! سأتماشى مع الترتيبات التي قمت بها واعتقد أنه سيكون هناك سجاد أحمر في المسرح، ليموزين، وثياب رسمية».

- يمكنك الاعتماد على هذا. لن يقبل بيتر أوين بأقل من هذا

- رجل الاستعراضات الأول حسناً! سنرى، أليس كذلك؟

واتجه نحو الباب وهو يرفع يده بآخر تحية: «باي نونا، أرسلي فاكساً بالموعد إلى مكتب شركتي، وسأقف في الصف مثل صبي صغير طيب».



ورمى ابتسامة ساخرة وذهب لم يبد رجلاً سعيداً على الإطلاق.

على أي حال لقد حضّرت للمشهد التالي بين ماثيو ونيكول، ووضعت بمكر طعماً صغيراً برمي بيتر أوين إلى الحلبة. سوف تتولى بنفسها أمر الجلوس في الطائرة وفي المسرح. طالما أن كلا المتخاصمين لا عذر لديهما لعدم اتباع كلمتها، فيجب أن يتحملا رفقة بعضهما للعديد من الساعات.

وابتسمت إيزابيلا لنفسها؛ لا شيء يضاهي إجبارهما على قضاء الوقت معاً، لإسقاط الحواجز بينهما!

* * *

# ١٠ ـ رسائل الصمت

وصل ماث إلى مطار «كايرنر» قبل عشرين دقيقة من سفرهم إلى بريزبن، فهو لا يحمل سوى حقيبة صغيرة تحتوي على ثياب رسمية سيرتديها لحضور الافتتاح هذه الليلة، وكيس مشتريات يضع فيه بقية حاجاته.

لاقاه طوني في ردهة المدخل وأعطاه التذكرة ورقم المقعد: «ذهب الآخرون إلى صالون المغادرة. مستعد للانضمام إليهم؟».

ـ طبعاً! أعتقد أنني سأجلس إلى جانب نيكول ريدمان في الطائرة.

تكلم بشكل عفوي محاولاً الإحساس بالاسترخاء، وهما يسيران نحو الحاجز الأمني.

ـ لا، فقد سافرت نيكول في وقت مبكر هذا الصباح وتقول نونا إنها أرادت قضاء اليوم في بريزبن لتراجع «أرشيف» الصحف.

واشتعل الغضب فيه؛ إنها تستخدم العمل كعذر لتتجنبه مرة أخرى. حسناً، في المرة الأولى كان قد إفترى على استقامتها، لكنه خرج عن عادته ليعترف أنه كان مخطئاً واعتذر عن الإساءة. ومن المؤكد أن الأمر ليس كذلك في المرة الثانية، فهذا ازدراء متعمد.

سأل وهو بالكاد يكبح غضبه: «وماذا تأمل أن تجد هناك؟»

عليه إظهار بعض الاهتمام فهو من ذكر اسمها.

ـ حسن جداً، أنت تعرف أن زوج نونا وشقيقها كانا على متن



المركب الذي أبحر من بريزبن خلال الحرب العالمية الثانية. وأرادت نيكول الحصول على بعض المعلومات بالنسبة لهذا الأمر.

بدا له الأمر معقولاً؛ استخدام تذكرة الطائرة لهدفين. فذلك يريح ضمير نيكول، ويوفر على نونا تمويل رحلة بحث إضافية إلى بريزبن. ما عدا أن توفير الدولارات لم يكن يوماً مرتبطاً بتاريخ هذه العائلة. فنونا لن يرف لها جفن أمام أي مصاريف إضافية للمشروع. لذا، لم يكن لدى ماث أي شك في أن نيكول ريدمان تعمدت اختراع هذا الترتيب لتسخر منه ومن اعتذاره.

قال طوني ممازحاً: «حظ سيء ماث! ستضطر إلى البقاء وحيداً في الساعتين القادمتين».

ـ ما من مشكلة!

وضع حقائبه على المنصة المتحركة، ودخلا عبر البوابة. فتابع طوني: «علينا الاعتراف أن نيكول لم تترك حجراً لم تقلبه لتقوم بعمل مكتمل في تاريخ عائلتنا».

رد من دون اهتمام: «هذا ما يبدو».

أخذ ماث حقائبه ونظر حوله في صالون المغادرة ليرى أين يجلس الآخرون. وأشار طوني بيده: «إنهم هناك».

ثم ابتسم له: «لا بد أنك تفقد لمستك ماث. إنها فتاة فاتنة تهتم بعملها أكثر من اهتمامها بك».

هز كتفيه: «ربما لست من الصنف المثالي لها».

ـ هل أفهم من هذا أن الشعور متبادل، وأنها ليست من صنفك المثالي؟

أدار ماث عينيه إلى السماء: «استرح طوني، أعرف أنك رجل متزوج سعيد لكنني لا أحتاج إلى مدبر زواج لي»

وبكل تأكيد، ليس مع فتاة نارية لا تملك من التعقل ما يجعلها تتغلب على غضبها، وتصر على تذكيره بأنه أساء إليها، بالرغم من تراجعه التام واعتذاره. لقد اشترى الكتاب الذي وضعته حول حياة والدها وقرأه ليتعرف عليها أكثر، على أمل أن يسود السلام بينهما في هذه الرحلة. حتى أنه ظل مستيقظاً لوقت طويل ليلة أمس، يفكر بما سيقوله حين يلتقيها.. وهذ كله لأجل لا شيء!

حيا جدته وروزيتا وهانا في الوقت الذي سمع فيه النداء الأول لرحلتهما. وهكذا لم يضطر للحديث، ناسبه ذلك كثيراً لأنه لم يكن في مزاج جيد لتبادل حديث اجتماعي على الطائرة. جلس على مقعد قرب النافذة ولم يجلس أحد إلى جانبه. وأعطته المضيفة صحيفة، فاستخدمها ليحجب عن عينيه رؤية أي شيء آخر.

تجولت عيناه على الكلام المطبوع، لكن وعيه لم يستوعب شيئاً منه. المقعد الفارغ إلى جانبه كان يعذبه باستمرار مذكراً إياه بنيكول ريدمان وغيابها المتعمد. على الأرجح أن تكون رتبت أمر مقعدها في المسرح ليكون بعيداً عنه. وما من شك أنها ستركب الليموزين التي ستنقل جدته وروزيتا، وسيركب هو مع هانا وطوني واليكس. لا بأس بكل ذلك، إنه لا يهتم بما تفعل. يمكنها أن تعبث كما تشاء مع بيتر أوين في حفلة ما بعد الافتتاح، ولن يرف له جفن. في الواقع، سيشعر بالازدراء الكامل لأن تظاهرها بالاعجاب ببيتر أوين سيكون تمثيلية كاذبة وجريئة. لم يكن مخطئاً بخصوص الجاذبية التي أحست بها نحوه. تستطيع الإنكار قدر ما تشاء، فهو يعرف الحقيقة ولو أنكرتها.

لو أنه حاول معانقتها وهما على الشرفة بعد أن أزال الفراشتين عن شعرها لما مانعت، فهي لم تتراجع عند لمسته. ماذا تتوقع من رجل أن يفعل على أي حال؟ يكبح نفسه إلى أن تعطيه الإذن بالاقتراب؟



ويتجاهل الشوق الذي يقول له إنه مرغوب ومرحب به؟

دعها فقط تحاول تجربة مذاق الفاكهة مع بيتر أوين، وسوف يجرها كازانوفا ليأخذ منها ما يريد. نظراً للمشاعر التي اشتعلت بينهما، فقد تصرف ماث بنبل وشهامة. لكن كل ما حصل عليه، اتهامات وتهجم.

ما ذنبه إذا لم تستطع التركيز على عملها؟ يا له من هراء!

كانت المشاعر تضج في داخلها، مثله تماماً. لا يحق لها أن تلومه على الأفكار التي كونتها بنفسها. لكن لماذا لم تتمكن من الاعتراف بها بدلاً من الاختباء وراء «متراس» غلطته؟ ربما أزعجتها هذه المشاعر كما أزعجته، لكن هذا لا يغير الحقيقة.

وفكر ماث بهذه الحقيقة وهو يغلي طوال الطريق إلى بريزبن وكان لا يزال يغلي حين وصلوا إلى الفندق، وازداد غليانه حين وصل إلى غرفته ورمى أغراضه على السرير الكبير.

كان مخطئاً في التقليل من قدرتها على القيام بالعمل، ومخطئاً في اتهامها باستغلالها لمظهرها وفي كونها تخدع جدته. لكن مع كل افتراضاته الخاطئة، عرض عليها أن يهديء الموقف بالحصول لها على أي مساعدة تحتاجها. كان يود أن يتخلص من الخداع ويحضّر جواً من الثقة ليتمكنا من التحرك إلى الأمام، إلى علاقة لا يشعرا فيها بالانزعاج لا!

حتى إنها لم تستطع الاعتراف أنه على صواب في المشاعر المشتركة بينهما

التقط سماعة الهاتف من قرب السرير، فطلب مكتب الاستعلام وسأل عن رقم غرفتها سيلتقي الجميع في صالة الفندق في السابعة والربع، قبل الانتقال إلى المسرح. وسيكون ملعوناً لو سمح لنيكول

ريدمان بالتكبر عليه مرة أخرى.

سوف يحل هذه المشكلة فوراً.

لا بد أنها في غرفتها والنساء يلزمهن وقت طويل للاستعداد لليلة كبيرة، وهذه الليلة كبيرة بالنسبة للعائلة. لا بد أنها تعي ذلك. لا بد أن عملها لهذا اليوم انتهى، وهي لن تفوت عليها هذه الليلة.

ما من جدوى في محاولة الحديث معها على الهاتف، كما أنه لن يعطيها الفرصة لتقفل السماعة في وجهه. يجب أن يراها وجهاً لوجه. لن تتمكن من تحميله ذرة من الذنب هذه المرة. بثقة كبيرة، ترك ماث غرفته وسار نحو غرفة نيكول ريدمان.

كانت نيكول تستمتع مسترخية بمغطس حمام مليء برغوة الصابون، فهذا بالضبط ما تحتاج إليه لتسترخي وتريح التوتر الذي جعلها تشعر بالعصبية طوال اليوم. كان من المستحيل تجنب ماث كينغ تماماً الليلة عليها ببساطة القبول بهذا، وإبقاء قدر ما تستطيع من مسافة بينهما.

مع ذلك، لم تكن قادرة على إيقاف تفكيرها عن الدوران حوله، خاصة وهي تعلم أنها ستراه قريباً. لا شك أنه سيبدو أكثر وسامة في ثياب رسمية. ليس من الإنصاف أن يكون جذاباً إلى هذا الحد!

لم تكن فخورة بتلك الغريزة الغادرة التي دفعتها إلى شراء فستان لا تحتاج إليه حقاً، أو بهذا التدفق المجنون للدم إلى رأسها

بعد ظهر اليوم، تصرفت بتهور لا ضرورة له، فقد ذهبت إلى سوق تجاري يحتوي على محلات ثياب تبيع ماركات شهيرة ومثيرة. وما إن شاهدت الفستان الأسود حتى استولت على تفكيرها فكرة حارقة واحدة:

سأريه!



تريه ماذا؟ أنها يمكن أن تبدو جذابة؟ أو أن تمد مخالبها وتدخل تحت جلده بقدر ما دخل هو، على أن تبقى بعيدة عنه كي يصاب بالإحباط؟ وإذا بقي راغباً في إقامة علاقة معها، فسوف يندم على أي حال. لقد عاملها بوحشية في تحليله لشخصيتها ومع أنه قدم لها اعتذاره، لكن الاعتذار جاء متأخراً جداً.

فاعتذاره المتأخر هذا لا يمكن أن ينسيها أنها أمضت أكثر من أسبوع وهي تتخبط في أيام تعيسة وليال أكثر بؤساً وتعاسة. على أي حال، ربما يجب ألّا ترتدي الفستان! ربما يجب أن تعيده إلى محل الملابس وتستعيد مالها فانتقامها لن يأتي بنتيجة جيدة، بل سيجعلها تستمر في التفكير به لتجذبه نحوها.

هل هذا قرع على بابها؟

أجل.

خرجت نيكول من المغطس الساخن وفكرت بأن هانا تمر بها لحديث صغير قبل أن ترتديا ملابسهما. فقد سبق وتحدثتا، هي ونيكول، عن صوت جينا، وهي متأكدة أن «سلفتها» ستكون النجم في مسرحية الليلة لكن ربما توتر الليلة الأولى استولى عليها.

جففت نيكول جسمها بسرعة، ثم التفت برداء حمام كبير قدمه الفندق، وأسرعت عبر غرفة النوم. ومن دون توقف لمعرفة هوية الزائر، فتحت الباب ووقفت مشلولة لمواجهتها ماث كينغ.

عند رؤيته واقفاً أمامها، لا يكاد يبعد ذراعاً، غمرها الإحساس كم هو ضخم! كم هو رجل! ما أثار كل عصب في جسمها ووعت على الفور أنها ترتدي رداء الحمام. ذكرتها نظرته السوداء اللامعة أن شعرها مكوّم دونما اكتراث على قمة رأسها، فقد ثبتته كي لا يتبلل بالماء.

قال بتحد مشاكس، وهو يخطو إلى الأمام ويرجعها عن الباب:

«دعينا نتكلم، هل هذا ممكن؟».

أحست بالقوة المخيفة لوجوده، ولم تكن مستعدة لهذا.. لم يخطر ببالها أبداً أن تحاول إيقافه وهو يدخل إلى غرفتها ويقفل الباب خلفه كانت مشغولة جداً في التراجع لتضع بعض المسافة بينهما، وتتفحص رباط ردائها لتتأكد أنه مشدود جيداً، وتشد أطرافه خوفاً من أن ينفتح. استجمعت أنفاسها بما يكفي لتقول: «عمّ تريد أن تتكلم؟».

نظر إلى فمها. أتراه يرتجف؟ لم تكن تضع ماكياجاً أو زينة يعطيانها ثقة بنفسها لتحافظ على كرامتها ضد تهجمه.

لاحظ ماث يديها المشدودتين على الرداء، ما يدل بوضوح على شعورها بالتوتر. ولم يغب عن عينيه أي شيء. وعلى الأرجح أنه رأى أطراف أصابع قدميها تنكمش وهو ينظر إلى قدميها الحافيتين، واستوعب بكل تأكيد كل حنايا جسمها مع عودة نظرته إلى وجهها، وشعرها المشعث وعينيها.

قال بتهجم، وقد بدا صوته العميق خطيراً: «لماذا تتجنبين رؤيتي نيكول؟».

أنشب الذعر مخالبه في قلبها، وأرسل موجات رعب إلى ساقيها فقالت متلعثمة: «لا أعرف ماذا تعني».

سخرت عيناه من إنكارها وهو يقترب ليمسك ذقنها وأصابعه تتلمس بخفة خدها: «بلى، تعرفين. تعرفين بالضبط ماذا أعني، نيكول ريدمان. والسؤال الوحيد هو هل ستعطيني رداً صادقاً؟».

وقف ونظراته مسمّرة على عينيها. أحست نيكول بدفء يده كالريش على خدها. وراح جسمها يضج بأحاسيس قوية لم تعرفها في حياتها لقد حرك مشاعرها كما لم يفعل رجل من قبل وهو يحثها على الرد. أم أنه عرف الجواب من دون أن يسمعها تتكلم؟ هل قرأ الجواب



في عينيها؟

فقد التفت ذراعاه حولها وعانقها بقوة. تسللت يده عبر شعرها، تنتزع الدبابيس، وتتمتع بتحرير الخصل الطويلة، وتمتعت هي بهذا أيضاً. أحبت الإحساس بيده في شعرها.

انتبهت نيكول إلى أنها تتجاوب معه كالمسحورة، فتراجعت إلى الوراء ساخطة: «أرجوك ماث، الوقت غير مناسب للكلام الآن. سوف يفتقدنا الجميع إذا تأخرنا، وأنا لم أجهز نفسي بعد».

وتراجع ماث عنها، يأخذ أنفاساً عميقة وهو يعيد رأسه إلى الوراء، ولمعت عيناه بتحدٍ شديد وهو يمرر يديه في شعره.. ولم يتكلم، لم يكن مضطراً للكلام، فالرسائل التي تبادلاها بصمت كانت كافية ليفهم كلاهما مدى انجذاب أحدهما إلى الآخر.

لكن هل هذا ما ترغب به نيكول؟ مجرد انجذاب بينهما من دون أي أمل بالمستقبل؟ بالطبع لا! وما تطلبه لن تجده بالتأكيد لدى ماث كينغ.

كان التوتر بينهما شديداً. لكن أي منهما لم يحاول كسر الصمت إلى أن رن جرس الهاتف.

* * *

## ١١ - ترويض النمرة الحسناء

الهاتف!

جاء صوته كالصاعقة ليوقظ نيكول من أفكارها، وبينما كانت عيناها متسمّرتين بصدمة. اتجهت نظرتها إلى ساعة الراديو على طاولة السرير، إنها السادسة والنصف، ولم يبق سوى خمس وأربعين دقيقة للاستعداد لحفل الافتتاح، والنزول إلى ردهة الفندق قبل الذهاب إلى المسرح.

قالت لماث بحدة: «أنظر إلى الوقت! علينا أن نتحرك؟»

وتقدمت إلى السرير لتلتقط السماعة.

- معك حق!

ساعدتها الموافقة السريعة على إعادة تركيز تفكيرها. هذه المكالمة، على الأرجح، من مخدومتها تسألها عن بحثها اليوم.

جلست نيكول على السرير، وأخذت نفساً عميقاً ورفعت سماعة الهاتف إلى أذنها، وتكلمت بنبرة صوت معقولة وهادئة، وكان المتكلم السيدة كينغ.

عبّرت نيكول بسرعة عن رضاها للمعلومات التي جمعتها من أرشيف الصحيفة، وردت على أسئلة أخرى عن بومها. أكدت للسيدة كينغ أن غرفة الفندق لا بأس بها، وأنها لم تنس الموعد النهائي في السابعة والربع، في ردهة الفندق. لكن نيكول اضطرت للكذب بشأن



تناولها الطعام.

كانت تدير ظهرها نحو ماث. لكنها استطاعت أن تسمع حركته وهو يسير في الغرفة. لم تسمع صوت خروجه، مما ضاعف توترها. أخيراً تمكنت من إنهاء المكالمة. ماذا ينتظر؟ ألا يفهم أن لا عذر مقبول لعدم الدقة في الموعد هذه الليلة؟ وعليها أن ترتدي ثياباً لائقة، وترتب نفسها كذلك.

وانتفض قلبها متوتراً. ما هي ردة فعله الآن على ما جرى بينهما؟ هل اهتز عالمه، كما حصل معها؟ أحست فجأة أنها ضعيفة جداً، وأجبرت نفسها على أن تنظر إليه من فوق كتفها. عليها أن تقول شيئاً لتنهي هذا التوتر: «عليّ أن أجهز نفسي قبل أن يداهمنا الوقت».

توقف ماث في الممر القصير نحو الباب، وتركزت نظرته عليها. بدا مستعداً لمواجهة أي شيء أو أي كان: «لا تحاولي التهرب مني الليلة نيكول».

ولمعت عيناه ببريق يأمرها بألّا تنحرف عما خطط له: «كوني في السابعة والربع في بهو الفندق».

وخرج قبل أن تلتقط أنفاسها. لقد دخل كإعصار إلى غرفتها، وخروجه تركها مع الإحساس ذاته من القوة التي لا يمكن إنكارها.

صدمها هذا، ودار تفكيرها يسترجع ما قاله. لا بد أن قوله يعبر عما يشعر به... التهرب مني؟ أهكذا ينظر إلى خيارها بالسفر باكراً اليوم؟ وربما يشير كذلك إلى غداء العائلة الذي تعمدت أن لا تحضره.

لا بد أنه فهم أن الغيابين ازدراء شخصي، وهكذا كانا فعلاً. هذا يعني أنه كان يفكر بها وأن تصرفها أثاره كثيراً.

كوني هناك؟

الأمر صادر من رجل مصمم جداً على أن تكون معه وبالتأكيد لا

زال لديه الكثير ليقوله لها. هذا أمر عظيم بالنسبة لنيكول، فهي كذلك لديها الكثير لتقوله. وبدت ابتسامة ماكرة صغيرة على وجهها. لقد قفزت إلى بحر عميق مع ماث كينغ، ولا تعرف ما إذا كانت ستتمكن من إبقاء رأسها فوق المياه المضطربة، لكنها ليست على وشك أن تغرق بعد.

أجل! ستكون في بهو الفندق في السابعة والربع، لكن ليس كامرأة خاضعة لرغبته. بل في الواقع، ستفعل كل ما في وسعها لتصدم عينيه وتعلمه أنها ليست ملك يمينه.

كان ماث أول النازلين عند الساعة السابعة وثمانية دقائق. أمل أن يلتقي جدته قبل ظهور نيكول ويتأكد من توزيع الأمكنة في الليموزين والمسرح. ولم يأبه ما إذا كان هذا قد أرضى جدته. لقد برهنت نيكول عن اهتمامها به لكن هذا لا يعني أن الزواج على الطريق.

في السابعة وعشر دقائق، تنهد ماث ارتياحاً وهو يرى روزيتا وأليكس وجدته يبرزون من المصعد. بدا ألكس كعادته مثيراً للاعجاب ومسيطراً تماماً على نفسه، وكانت نونا ترتدي ثوباً حريرياً فاخراً كحلي اللون، ورأسها الأبيض الشعر مرفوع عالياً وهي تتألق بأجمل مجوهراتها. أما روزيتا فترتدي ثوباً من الدانتيل الخمري اللون وتبتسم بسعادة. وابتسم الجميع لرؤيته.

وأجبر ماث نفسه على ابتسامة لم يكن يشعر بها. عليه طبعاً مشاركتهم البهجة في العرض، إنها ليلة انتصار لجينا. لكن كل ما كان يفكر به هو الحصول على نيكول ريدمان لنفسه. ومع انضمام الآخرين إليه في البهو، خاطب جدته مباشرة.

- كيف ستتم الترتيبات نونا؟ ستذهبون أنتم الثلاثة في أول ليموزين، وسيلحق بقيتنا بكم؟



فكرت قليلاً، ثم ردت ببطء: «قد ترغب نيكول بالركوب معنا».

قال مجادلاً: «لن يبدو هذا جيداً. أعتقد أن على أليكس أن يمسك ذراعك وذراع روزيتا لتسيروا إلى الداخل، وهذا ما سيجعل نيكول امرأة وحيدة. من الأفضل أن أرافقها أنا حين تنزل من الليموزين الثانية».

قال أليكس يدعم ماث: «وجهة نظر ماث صحيحة نونا. لقد حضر بيتر تغطية إعلامية فلا بد أن تتوجه آلات التصوير نحونا».

هل هذه ابتسامة خبث صغيرة على شفتيها؟ ظهر لمعان في عينيها وهي ترد: «إذن سنقوم بالأمر على طريقة ماثيو».

لم يشأ أن يبدو وكأنه وقع في فخ الزواج الذي تدبره له، لذا لم يتابع مسألة توزيع المقاعد في المسرح. ألا أنه قرر أن يلتصق بذراع نيكول بحيث لا تبتعد عنه إلا إذا أصرت هي على ذلك. ومن غير المحتمل أن تتصرف بتكبر في مثل هذه الظروف.

المشكلة أن ماث لم يكن واثقاً من مشاعرها نحوه، بالرغم من الموقف الحميم الذي عاشاه للتو. فموقفها منه حين يكونان وحدهما، لا يضمن رداً إيجابياً منها في أماكن أخرى، فهما لم يتحدثا، ولم يصلا إلى أي نوع من التفاهم يستطيع أن يشعر معه بالراحة. ربما وقعت منذ قليل تحت ضغط مشاعرها وهكذا قد تتراجع فيما بعد. وجد أن يديه تنقبضان، وأجبر نفسه على الاسترخاء. يجب أن تبقى نيكول إلى جانبه للساعات القليلة القادمة، ليتمكن من التحدث إليها، ويبدو أن هذا ما سيحدث.

برز طوني وهانا من مصعد آخر. بدت هانا رائعة تماماً في ثوب أخضر أنيق، وشعرها الأشقر المجعد يلتف حول كتفيها. لم يظهر عليها انتفاخ الحمل بعد.

نظر ماث إلى ساعته مرة أخرى، إنها السابعة وثلاث عشرة دقيقة.

إذا لم تحضر نيكول خلال الدقيقتين التاليتين، سيصعد إلى غرفتها ويجرها إلى الطابق الأسفل. لن يسمح لها بأن تدّعي المرض أو أي عذر واهٍ آخر كي لا تنضم إليه الليلة. وإذا كانت تظن أنها قادرة على التلاعب بمشاعره لمصلحتها ثم إدارة ظهرها له.. وصرّ ماث على أسنانه أمام هذا الاحتمال، وهو يتوعد في سره أن يصحح لها أفكارها.

لمح جدته تراقبه فحاول أن يتبنى جواً من عدم الاكتراث. نظر حوله في البهو متظاهراً بالانتظار لاكتمال مجموعتهم. في أعلى مجال نظره، لفتت نظره صورة بالأحمر والأسود. وارتفعت نظرته بحدة.. إنها هناك، في أعلى السلم الذي يقود نزولاً إلى البهو!

وقفت نيكول تنظر إليه مباشرة. أتراها تتفحصه؟

لم يعرف ماث ولم يهتم. فقد انقلب قلبه رأساً على عقب مع رجوعه في الزمن إلى أول ليلة شاهدها فيها في نيوأورلينز. بشعر أحمر، ثوب أسود، وبشرة تلمع ببياض لؤلؤي، فاتنة مذهلة، تجبره على أن يلحق بها، يراقبها، يستمع إليها. ولم يكن الوقت ولا المكان مناسبين ليتعرف إليها يومها، لكن الآن...!

سمع جدته تقول: «أوه.. هذه هي نيكول، هناك ما بين الطابقين ربما ضغطت على الزر الخاطىء في المصعد».

وفكر ماث: لا، فهذا أمر متعمد.

ولم تبعد نظرتها عن نظرته وهي تنزل بهدوء إلى البهو. هذه المرة، لم يكن ماث يضع قناعاً ويقف في مؤخرة مجموعة من السياح. إنها الليلة تعرف من هو وتتحدى اهتمامه بها... تريد إشعال عواطفه ومشاعره.

لقد سخر منها عندما سماها بالمرأة الفاتنة. والآن أحس أنها ترمي هذا في وجهه مع كل خطوة تنزل فيها السلم. كان ثوبها الأسود الأكثر



إثارة مما شاهده أبداً؛ ذا كتفين عريضتين وكمين قصيرين، يبرزان ذراعيها المستديرتين. بدت ياقته على شكل قلب مفصل. بدت نيكول رائعة في ثوبها هذا، فهو أنيق يحتضن جسمها حتى الركبتين، وقد تدلى منه ذيل على شكل سمكة ينساب وراءها على السلم. وقد زادها القماش اللماع جاذبية ورونقاً.

أدرك ماث متأخراً أنه كان يتحرك ليلاقيها. لقد جذبته كالمغناطيس، والوقت متأخر جداً ليتوقف، أو لينكر عليها تلك القوة. من الأفضل أن يبدو طبيعياً كمرافق يقوم بما يفترض عليه القيام به انتظر عند أسفل السلم، ليقدم لها ذراعه. إذا لم تأخذها فسوف يجبرها على ذلك.

كان شعرها يلمع كأنه نار سائلة، شلال ناعم ينساب فوق كتفيها، ما يضفي عليها إثارة وبهجة، وقد وضعت على شفتيها أحمر شفاه من اللون نفسه أبقت نيكول رموشها منخفضة لتظهر أن نظرتها مركزة على السلم، مع أنها لم تكن كذلك، فقد كانت عيناها تتراقصان بالرضى لأنه ينتظرها.

تمكن ماث من كبت اندفاع مجنون يحثه ليركض نحوها ويعانقها. فعائلته تراقبهما، وسيكون ملعوناً لو أعطى جدته فرصة لتشعر بالرضى وتعرف أن المرأة التي اختارتها تجعله يحترق شوقاً أكثر من أية امرأة عرفها من قبل. ما يريده الآن هو إظهار الأخلاق الرفيعة، ومن الأفضل لنيكول ريدمان أن تجاريه في ذلك.

قدم لها ذراعه وهي تنزل آخر الدرجات. كانت عيناه جامدتين لمنعها من رؤية الصراع في داخله، للموقف الذي وجد نفسه فيه. إنه يحتاج إلى السيطرة، ويكره أن يفقدها. لن يترك هذه المرأة تنتزع سيطرته منه وتلاشى الضيق الذي يغلي في صدره وهي تدس ذراعها

بنعومة حول ذراعه من دون تردد أبداً. وقالت بصوت مبحوح: «شكراً لك».

رد بهدوء: «إنها سعادة لي».

ونظر بحدة متعجباً لرنة صوتها المخملية.

أبعدت نظراتها عنه بسرعة. ولكنه لمح فيهما تعبيراً مترددا، لا ينبيء بالثقة. يدها التي ارتاحت على كم معطفه بدت مرتجفة، فوضع يده فوقها بسرعة، كأنه يثبتها في مكانهاإذا كانت تفكر مرة أخرى بالابتعاد عنه. لن يسمح لها أن تنهرب وتتركه يقف كالغبي.

وصمم على إظهار الهدوء واللامبالاة وهو يقودها نحو مجموعة العائلة: «تبدين رائعة تماماً الليلة».

تمتمت: «وأنت كذلك».

وأخذت نفساً كأنها تحتاج إليه لتهدىء نفسها. أهي نادمة لأنها تجاوبت معه؟ أهي خائفة منه؟ هل لمظهرها علاقة بالتظاهر أكثر منه بالإغواء؟

كان أليكس يوجه جدته وروزيتا نحو الباب أما طوني وهانا فكانا بانتظار ماث ونيكول. أشار ماث لهما ليتقدما، يريد منهما التقدم أمامه وإعطاءه بضع لحظات مع نيكول. وقال لها: «نحن بحاجة لنتكلم».

بدا الاحمرار فوق خديها «ظننت أنه لم يعد من داع للكلام».

ما هذا؟ هل تتراجع من جديد؟

قال ساخراً: «تستطيعين القول إن لدينا الآن الأساس لنبدأ»

وجاء ردها الماكر: «ظننت أن ذلك العناق هو ما أردت أن تقوله فقط».

ـ لو كانت الظروف مختلفة، لكنا ما زلنا نتكلم حتى الآن. فهناك الكثير ليقال



وضغطت على فمها من دون رد. لا تريد أن تعترف أنها تريده كما يريدها تماماً، فقد لا يكون صادقاً في مشاعره نحوها. لا بد أن يكون الكلام هو الخطوة التالية. وحاول ماث مجدداً: «ليس لدينا الوقت الآن، لكن بعد العرض..»

أدارت رأسها لتوجه نيران دفاعاتها إليه: «هناك حفلة وأنا أنوي الذهاب إليها، معك أو من دونك. افعل ما شئت لكنك لن تملي علي إرادتك ماث كينغ».

رد بخشونة: «لدينا أمور مشتركة نبحث فيها».

ـ أتعني أكثر من مجرد عناق؟

دفعه هذا إلى الرد «وهل هناك ضير في العناق؟»

ـ لا، لكن هناك الكثير بالنسبة لي، أكثر من هذا

ـ أتظنين أنني لا أدرك ذلك؟

ـ لم تظهر هذا

ومدت رأسها إلى الأمام بحدة، والكبرياء مطبوعة على مظهر وجهها الجانبي. وغضب ماث لتصلبها:

ـ وكيف يمكن بالضبط أن أظهر هذا وأنت تتجنبينني وكأنني وباء الطاعون؟

ـ لقد كنت كالطاعون.

تشدّق ساخراً: «حسن، حسن، هذا تقدم. شكراً لك لاستخدام صيغة الماضي في كلامك. لقاؤنا كان له بعض الفائدة».

ارتفع ذقنها إلى الأعلى، ما زاد من إبراز عنقها الطويل الرشيق وتساءل ماث هل سيبقى هذا العنف ممتداً لو لف ذراعيه حوله وعانقها؟

ولم يعد يشعر برغبة في مشاهدة مسرحية «وست سايد ستوري» بالرغم من وجود جينا كمغنية، فمسرحية «ترويض النمرة الحسناء» كانت

ستناسبه أكثر.

أمامهما كان أليكس يخطو إلى أول سيارة ليموزين وراء جدته وروزيتا أما طوني وهانا فينتظران وصول الليموزين الثانية خارج البهو. وكانت أبواب الفندق مفتوحة لمرور ماث ونيكول إلى حيث ستقف السيارة.

لم تسأل نيكول عن الترتيبات، وظن ماث أنه كسب هذه الجولة منها، وأنها قبلت به كمرافق لها، وليس هناك محاولة لتجنب وجوده. ربما هي تحترق غيظاً لأنه لم يُسمِعها بضع كلمات عسلية بعد عناقهما الحميم، لكن نظراً للطريقة التي عاملته بها سابقاً، ماذا تتوقع؟ لقد كان منطقياً تماماً. فما هي مشكلتها إذن؟

قال بشيء من السخرية: «حسناً، أتمنى أن تتمتعي بالعرض الليلة».

نظرت إليه مشوشة الفكر: «ماذا تعني بهذا؟»

- أعني أن الأحبة قد ينتهي بهم الأمر إلى التعاسة، وأرى أنك مصممة أن تجعلينا، أنا وأنت، كذلك.

زاد التعليق من حدة عينيها لتصبحا ذات لمعانٍ رائع: «أنت متسرع جداً في افتراضاتك».

- حاولي إعطائي المزيد لأفكر به.

ردت عليه بحرارة: «حاول أنت أن تطلب بدلاً من القفز إلى استنتاج شخصي، والظن أنك قادر على إجباري على القبول بخياراتك».

- عظيم! بعد العرض الليلة.

ردّت بعناد: «سأذهب إلى الحفلة».

رد بحدة بعد أن نفد الوقت: «وأنا كذلك»



وكانت سيارة الليموزين الأولى قد انطلقت بينما كان هانا وطوني يتسلقان إلى داخل الثانية، فمشى ماث ونيكول في أعقابهما. بعد بضع ثوان سيكونان مستقرين في داخلها، والسائق يغلق الباب عليهما.

جلس ماث مواجهاً لطوني. كاد يكره أخاه لأنه يبدو سعيداً جداً فقد جلست هانا إلى جواره ممسكة بيده. أما هو فكان يجلس إلى جانب «الساحرة» الحمراء الشعر التي بقيت تحرك مرجل الزيت الحار لتحرقه فوقه. لكنه لن يتركها وشأنها الليلة. ولو ظنت أنها قادرة على الخلاص منه في حفلة ما بعد العرض، يمكنها التفكير مرة أخرى. فهو ليس مخطئاً في افتراضاته حول شرارة التجاذب بينهما.

إنها تتحرق شوقاً كالديناميت، مثله تماماً. والفتيل يحترق.

* * *

## ١٢ ـ خلف الخطوط الحمراء

توجه الجميع إلى المقصورة التي خصصت لهم في المسرح. وكان مكان نيكول إلى جانب ماث في الصف الثاني خلف أليكس وروزيتا والسيدة كينغ. وجعل الترتيب الحديث سهلاً بين أفراد العائلة.

لحسن الحظ أن هانا كانت تجلس إلى الجانب الآخر من نيكول، ولم تكن وحدها مع ماث، وجعلها ذلك تشعر بالارتياح

لكن توترها الداخلي لم يخف كثيراً فقد كانت تعي وجوده بقوة، وتشعر بالعجز أمام مدّ المشاعر التي تنتابها ما جعل تفكيرها مشوشاً حتى بالكاد استطاعت التفكير بشيء آخر.

في بهو الفندق، انتهى بها الأمر إلى الرد عليه بحدة خوفاً من أن تغمرها كراهيتها التجاذب بينهما مؤكد، لكنه غير كاف بالنسبة إليها. فهناك أشياء أخرى يجب أن تكون أكثر أهمية كالاحترام، الحب، الثقة، والتفاهم فماذا عن هذه جميعاً؟ ماث متعجرف جداً، وهو واثق أنه قادر على الوصول إليها متى أراد، والجزء الأسوأ أنها كانت ترتجف من الداخل كيف ستتعامل مع مشاعرها هذه؟ ما هي أفضل الطرق؟ وهل هناك طريقة أفضل؟

غالباً ما ينتهي الأحبة إلى التعاسة!

هذه الكلمات الماكرة دارت في تفكيرها مع بدء المسرحية، لكن سرعان ما شدّتها المسرحية فانسجمت معها كان الاخراج نابضاً



بالحياة، غنياً بالعاطفة.

في كل مرة كانت تغني فيها جينا، كان يسود صمت يكاد يقطع الأنفاس في المسرح كله. قوة صوتها والاعجاب الذي كانت تجتذبه من المستمعين جعلها «ماريا» رائعة كدورها تماماً. بقية الممثلين كان لهم دور جيد جداً، لكنها بدت متألقة بامتياز. خلال الاستراحة تصاعدت همهمة الإثارة والفخر من العائلة، وظهرت ابتسامات لا مجال لكبتها على وجوه الجميع، حتى ماث ونيكول.

الجزء الثاني من المسرحية كان حزيناً. شعرت نيكول بالدموع تخز عينيها، ففتشت بين قدميها عن حقيبة السهرة، لتخرج منها منديلاً ورقياً وسرعان ما ناولها ماث منديلاً أبيض نظيفاً، فأخذته كي لا تصدر أي صوت وهي تفتح حقيبتها. وقد أفادها المنديل كثيراً حين أطلق النار على حبيب ماريا واستلقى يلفظ أنفاسه الأخيرة. في ذلك المشهد ركعت ماريا قربه وغنيا معاً آخر أغنية وكانت مليئة بالرجاء بأن يكون العالم في المستقبل واعداً.

اندفعت الدموع من عيني نيكول، فمسحتها وهي تمنع شهقة ألم من الخروج من حنجرتها.

ـ امسكي يدي.

جاءت كلماته رقيقة ومؤثرة. وحين غطت يد ماث يد نيكول، وضغطت عليها عطفاً، تمسكت بها جيداً وكأنها طوق نجاة يمنعها من الغرق.

وأسدلت الستارة. وبدأ التصفيق بطيئاً ليشتد شيئاً فشيئاً. وأرادت نيكول استخدام يديها لكنهما كانتا لا تزالان متشابكتين بيد ماث ووعت فجأة تعلقها بيده.

شعرت بحرارة يده وقوتها تنتقلان إلى ذراعها، فراح قلبها ينتفض

بسرعة. لم تكن تريد لهذا الاتصال المريح أن يستمر. لكن هل ستجد الراحة حقاً مع هذا التجاذب نحو ماث كينغ؟ نظرت إليه متوسلة وهي تحرك أصابعها داخل قبضته. بادلها ابتسامة ساخرة صغيرة وترك يدها، ونقل يده مباشرة ليبدأ التصفيق مطولاً.

كان هناك ترحيب مطلق بجينا، وعدة صيحات «برافو»، كما قدمت لها باقة ورود فخمة. أما هي فابتسمت مباشرة إلى أليكس الذي كان يستند إلى سياج المقصورة وينفخ قبلة نحوها، وردت له القبلة على الهواء. حبهما الواضح لبعضهما جعل نيكول تشعر بالحسد.

لماذا لا يحصل هذا معها؟.. معهما؟ وأدارت رأسها إلى ماث كينغ حتى قبل أن تكتمل الفكرة.

التقط ماث نظرتها ورفع حاجبيه متسائلاً.

وارتفعت الحرارة إلى خديها، فأعادت اهتمامها إلى المسرح. الفكرة بالتأكيد لم تخطر له. وبقي تعبير التسلية على وجهه وهو يراقب العرض الخاص بين أخيه وزوجته. هل يجد الحب بين رجل وامرأة مزحة؟ هل الرغبة هي كل ما يفكر به؟ أم هذا ما يفكر به معها؟

ووجدت نيكول نفسها تضغط على ساقيها معاً باحتجاج صامت حقود لمثل هذه الفكرة، خاصة حين يمكن لعلاقة أن تكون أكبر بكثير

كانت لا تزال تقاتل الأحاسيس التي يثيرها ماث حين استدعي بيتر أوين مخرج المسرحية إلى المسرح لينال موجة أخرى من التصفيق المرتفع. ولم تستطع نيكول منع نفسها من الابتسام لجو التباهي المنتصر وهو يأخذ المذياع ويلقي خطبة قصيرة، شاكراً المشاهدين لتصفيقهم.

وكالعادة.. كان فاتناً جداً، وترك الجميع في معنويات مرتفعة مع نزول الستارة لآخر مرة. وفكرت نيكول أنه مثل «بيتر بان» وتذكرت



كيف كان يحمل السعادة لبعض من ساعاتها السوداء في الأيام الخوالي

وقف أليكس وتكلم مع جدته: «سأتسلل إلى وراء المسرح بينما الناس يخرجون، ولن أتأخر».

ـ خذ وقتك أليساندو، نحن لسنا في عجلة.

واستدارت تبتسم لنيكول وتعلق: «لقد أخرج بيتر المسرحية بروعة. إنه رائع جداً أليس كذلك؟»

وافقت نيكول: «إنه مخرج بارع. لم أكن أعرف أن لديه هذه الموهبة، لكنه استغلها بالفعل».

انتقلت نظرة السيدة العجوز إلى ماث، وقالت تهز رأسها وكأنها تكرر ملاحظة قالها: «رجل الاستعراض الناجح».

ثم أكملت في رنة صوت غريبة: «نيكول تعرف بيتر حين كان في بداياته كمازف بيانو. كان يحصل على عمل مع فرق الجاز بين حين وآخر».

استدار ماث ليعبس لنيكول: «في ذات الفرق التي عزف معها والدك؟»

ردت بصرامة: «أحياناً».

ثم قررت أن تشجع على حديث طبيعي أكثر بينهم: «كان يسد غياب أحد العازفين أحياناً. لقد افتقدته حين اختفى من مسارح الجاز في سيدني، فقد أخذ وظيفة كمازف بيانو مغنٍ في سفينة رحلات، وأبحر بعيداً عن حياتنا».

زاد عمق العبوس: «لم تذكريه في كتابك».

وهل قرأ كتابها؟

وتحرك تفكيرها ليضع هذه المعلومة الصارمة في الصورة التي رسمتها لماث كينغ. وانشرح قلبها لإدراكها أنه لا بد أن يكون مهتماً بها

كشخص ليضيع الوقت في قراءة سيرة تكشف خلفيتها العائلية. ولا يمكن أن تكون الرغبة فقط في تفكيره!

سألت جدته وقد رفعت حاجبها عجباً: «لم تقل لي إنك قرأت «طبول أولي» ماثيو».

نظرت نيكول إليه. جلس على مقعده من جديد، واشتد صغط خط فكه وكأنه تلقى لكمة على ذقنه: «لقد تعاقدت مع نيكول لكتابة تاريخ عائلتنا نونا، فبدت لي فكرة جيدة أن أرى كيف تتعامل مع تاريخها الخاص».

وأزال بهذا أي شك بوجود اهتمام شخصي.

ارتفع الغضب في داخلها لتذكرها ما ذهب إليه سابقاً في تفكيره، حين ظن أنها تخدع جدته. فردت بحدة: «لدي الثقة أنك كنت راضياً».

رد عليها: «جداً! فالكتاب جيد وقد جذب اهتمامي»

لا شك أنه قرأ الكتاب علّه يجد دليلاً عن مسارها السيء؟ ثار غضبها، لكنها كبحته متذكرة أنه فاجاءها في غرفة البليارد حين جاء ليعتذر بسبب سوء حكمه عليها.

لقد اعتذر، حتى إنه قال إنه يحترمها. مع ذلك فقد عانقها من دون أن يطلب القبول منها. لا شيء يجعلها تشعر أنه يقدّرها أو يثمنها. من الاتهام انتقل مباشرة إلى العناق بعد أن أثبت كتابها أن لا بأس بها. وكرهته لهذا، لكنها مضطرة للتظاهر باللباقة هذه الليلة.

صوبت كلامها إليه: «شكراً لك».

ووجهت ابتسامة نحو جدته: «لنعد إلى المسرحية! أعتقد أن العرض كان ممتازاً، لكن من الواضح أن بيتر يعرف مواهب جينا، ويوظفها لمصلحته».

جاءت الموافقة الفورية: «أوه، أجل! من المرة الأولى التي سمعها



تغني، صمّم على إظهار موهبتها»

إنضمت إليهم هانا: «حسن جداً، لا شك أنه فعل هذا الليلة».

وأعطت الفرصة لنيكول للتحدث إليها إلى أن يعود أليكس.

وكانت هذه إشارة لهم لبدء خروجهم من المقصورة. لم تتمكن نيكول من تجنب الانضمام إلى ماث للنزول إلى البهو في المسرح. ترددت نيكول في التمسك بذراعه، لكنها فكرت أن ذيل فستانها الطويل وكعبيها المرتفعين قد يجعلانها تتعثر وهي تنزل السلالم. وليس من اللائق أن تتجاهل عرضه وتستخدم السياج بدلاً من ذراعه. من الأفضل أن تتكل على دعمه الثابت كالصخر من أن تخاطر بفقدان وقارها بالترنح أو التعثر، بالرغم من أنها لا ترغب مطلقاً في أن تكون قريبة منه، أو تشعر بطول جسمه إلى جانب جسمها.

راحا يسيران خلف الآخرين وتمنت نيكول لو يسرع في خطوته ليلحق بهم، لكنه سار مبطئاً، محبطاً رغبتها في أن لا تكون لوحدها معه. هذا من دون أن تتذكر عناقه وكيف أحست بقربه منها.

جاء سؤاله ليسكب الماء البارد على أفكارها المحمومة. سألها: «كم كان عمرك حين ظهر بيتر أوين في حياتك؟»

شعرت بالارتياح لأنه لم يكن يفكر بالذكريات الحارة ذاتها. فردت «أحد عشر عاماً».

تمتم بغير اكتراث: «مجرد طفلة يومها».

ما دفعها لأن تضيف:

- ربما كنت صغيرة، لكن بيتر كان دوماً يعاملني بلطف ما جعلني أرتاح لرفقته.

وجاء الرد الساخر. «ألم يستطع مقاومة فتنة الفتيات حتى الصغيرات منهن؟».

ردت بحدة: «كنت شاكرة لخدماته كثيراً في ذلك الوقت».

ـ لا شك في هذا. فلا مجال لأكثر من هذا خلال فترات الانتظار في الفنادق والنوادي الليلية، والسهر على والد مريض وإيصاله إلى البيت بعد انتهاء عزفه.

السخرية الناعمة في صوته دفعتها إلى النظر إليه. التقط نظرتها وبدت عيناه السوداوان قاسيتين شاحبتين وهو يضيف: «أكان يستحق حقاً ما أعطيته من حياتك نيكول؟».

ـ أنت لا تفهم...

ـ لا، لا أفهم. من المفترض أن يرعاك. أي نوع من الرجال يضع مجموعة طبول قبل مصلحة ابنته؟ كنت في التاسعة حين ماتت أمك، في التاسعة...

ردت بشراسة: «لكنه أبي».

ـ أجل. وكونه أباً يجب أن يعني شيئاً. هل تتصورين أن أليكس أو طوني سيهملان يوماً مسؤولياتهما نحو أطفالهما؟ وأنهما قد يتركان نفسيهما عرضة للاحباط أو يجدان السلوى في شيء آخر حارمين أطفالهما من الإحساس بالأمان الذي هو من حقهم؟

صاحت مدافعة: «إنهم يعيشون في عالم مختلف».

ـ إنهم رجال.

ـ ليس كل الرجال سواسية.

ـ صحيح، لكنك الآن امرأة، ولم تعودي طفلة، ويجب أن تري الأشياء كما كانت فعلاً. من القصة التي كتبتها، بدا واضحاً أن والدك كان قادراً على الوقوف بصلابة حين لا يكون في مزاج سيء. فالفتنة لا تعوّض عن بقية الأشياء في الحياة.

ردت غاضبة: «أنت تلقي الأحكام مجدداً على أشياء لا تعرفها».



أرسلت عيناه لمعان تحدٍ أسود نحوها: «حسن جداً، أعرف أن بيتر أوين كان متزوجاً، وطلق مرتين. وأنا واثق أن زوجتيه السابقتين سحرتا تماماً بفتنته في البداية. ويمكنك إبقاء هذا في ذهنك خلال الحفلة».

حاولت أن تشرح له صعوبة العيش مع أناس يستحوذ عليهم حس الإبداع فيسيطر عليهم كالسحر: «العيش مع الموسيقيين أمر صعب، وإذا لم تفهم كم هذا مهم لهم...»

ـ مهم جداً بحيث تصبح حاجاتك على الهامش بالنسبة إليهم؟

ورفع حاجباً ساخراً نحوها:

ـ لقد مر عليك الكثير نيكول، ولا تقولي بأنه كان سارّاً لك.

وأخيراً تنبهت إلى أنه قد يكون غيوراً من اهتمامها ببيتر. أو قد يكون ساخطاً لأنها كانت مصرة على الذهاب إلى الحفلة، حيث ستلتقي حتماً بصديقها القديم. والآن، بعد أن عرف صداقتهما، أيتصور أنها تريد إحياء علاقتهما؟

هزت رأسها بذهول للطريقة الملتوية التي استخدمها. وأحست بالذراع التي تمسك بها وقد أصبحت متملكة جداً، وكأنه لن يتركها تبتعد عنه أبداً.

وصلا البهو، وسارا خلف بقية أفراد العائلة إلى الشارع في الخارج، حيث كانت سيارات الليموزين بالانتظار. بعد بضع دقائق سيكونون في طريقهم إلى الفندق حيث ستقام الحفلة. لكن ماث كينغ لم يكن قد انتهى تماماً من شرح وجهة نظره.

أكمل بصوت منخفض: «أنت حرة الآن، حرة في ملاحقة من تريدين، والحصول على ما تريدين. فكري بما شعرنا به كلانا ونحن في غرفتك. ماذا يعني ذلك نيكول؟»

إنها لا تعرف!

كانت تحاول التفكير بالأمر، بذلك البحر من المشاعر الذي سيطر عليها حين عانقها. لم تتصرف كتصرفها في حياتها العادية حينها أبداً. ولم يكن هناك وقت للرد، وهذا أفضل، لأن تفكيرها لم يتمكن من التركيز على رد. ولحقت بطوني وهانا إلى الليموزين الذي بركبانها، ووضعت قناعاً ملائماً على وجهها في طريق العودة إلى الفندق.

خلف ذلك القناع اعترفت لنفسها بصمت أن ماث كينغ كان على صواب في شيء واحد؛ وأنها حرة في ملاحقة ما تريد. ومسؤولياتها الوحيدة ترتبط بنوع العمل الذي تتولاه، ولن تتقبل بعد اليوم عملاً لا يروق لها.

حرة؟... أهو خيار متعمد كي لا تربط نفسها مع أحد خلال السنوات التي تلت موت والدها؟ في البداية أحست بالفراغ ولم تكن مستعدة لأي علاقة. فوجدت أن من الأسهل إبقاء العلاقات سطحية، وهكذا لا يطالبها أحد بأي شيء. قامت بذلك غريزياً ومن دون تفكير. لكن نيكول عرفت الآن أن هذا ما كانت تفعله طوال سنوات الجامعة. بعد ذلك، حسناً، لا بد أنها أصبحت معتادة على العيش لوحدها.

كأن في دماغها خطاً أحمر لا يمكن لأحد أن يتخطاه. لكن ماث كينغ كان يتخطى كل الخطوط، ويحطم كل المحظورات التي تبعدها عن الرجال. وقررت أن أسرة كينغ هي من سلالة مختلفة، فتاريخ العائلة يقول لها هذا بعد كل ما عرفته عنهم. إنهم رجال أقوياء يفرضون سيطرتهم، رجال عائلة، رجال يتمسكون بما لديهم، ويعتنون به ويبنون عليه.

أهذا ما هي بحاجة إليه؟ ألهذا يجذب ماث كينغ مثل هذه الاهتمام منها، متخطياً كل تفكير منطقي؟



نظرت إلى اليد التي تمسكها. هل سيبقى ممسكاً بها، أم أنها نزوة وتمر؟

* * *



www.elmanhalia.com

# ١٣ ـ أريد حباً

صرّ ماث على أسنانه مع اتجاه بيتر أوين إليهما ودراعاه مفتوحتان

ـ نيكي تبدين رائعة!

وكادت عيناه الزرقاوان تخرجان من محجريهما وهو يحدق بها.

وتابع قائلاً: «من كان يظن أن فتاة نحيلة حمراء الشعر ستصبح بمثل هذا الجمال؟».

وأمسك أعلى ذراعيها وطبع قبلة على خديها.

ضحكت وردت: «ومن كان يظن أن بيتر أوين سيصبح مايسترو المسرح؟».

خطرت لماث فكرة سوداء: «بيتر بان»! إنه على حق فهذا الرجل بلغ الأربعين ولا يزال يشرق بالحيوية والمرح كأنه صبي لا يكبر أبداً.

قال متفاخراً: «يا له من عرض أول! ألست فخورة بي؟»

ضحكت نيكول مرة أخرى: «كثيراً! أنت «سوبر مان» الليلة»

ـ هذا ما أشعر به بالضبط. أشعر أن بإمكاني القفز من المباني المرتفعة هذه الليلة.

من المؤسف أنه لن يفعل هذا!

ونصحته ممازحة: «حسناً، لا تتهور! تمتع باللحظة».

ـ آه لطالما كنت محبية عزيزتي نيكي! سأذهب لأختلط بالناس الآن لكنني سأطلب رقصة منك فيما بعد.



فوق جثتي!

وأطلق بيتر ابتسامة نحو ماث: «اعتن بها، إنها مميزة جداً».

لا أحتاجك لتقول لي هذا.

وأجبر ماث نفسه على الابتسام: «ليلة عظيمة بيتر! أحسنت صنعاً!».

وصمت ليرفع يده في تحية. وقال صادقاً: «لقد غنت جينا كالملاك».

شعر ماث بالسوء بسبب أفكاره. فهو يعرف أن هناك مشاعر ودّ بين جينا وبيتر حتى أن أليكس أصبح معجباً بالرجل وكان بيتر عرّاب ابنتهما. لكنه لا يستطيع أن يتجاهل أن الرجل زير نساء من الدرجة الأولى

استدار ماث إلى المرأة التي تقف إلى جانبه، وشعر بالارتياح لأنها لم تحاول الابتعاد عنه بين جموع الناس في الحفلة. على الأرجح أنها لا تعرف أحداً هنا، عدا بيتر وعائلة كينغ. كانت نيكول صامتة معظم الوقت، بينما راح ماث يملأ الوقت بتذوق المقبلات التي يقدمها عدد كبير من النادلين.

هل وصلتها كلماته وهما يغادران المسرح؟

كانت نظرتها تلحق بتحركات بيتر عبر الجمع. أتريده أن يعود إلى حياتها؟ لقد جعلها تضحك، ولم يكن ماث قد سمع ضحكتها من قبل. إنه عادة يتشارك الكثير من الضحك مع النساء اللواتي يقضي معهن وقته، فلماذا تبدو الأمور معها متوترة؟

إنه يتحول إلى مهووس بها، ولا يفكر بشيء آخر. ما تبادلاه من عناق لم يعطه الراحة، بل جعله يرغب أكثر في ملاحقة المرأة ليتعرف على كيفية عمل دماغها. ماذا تشعر؟ كيف ترى الأشياء؟

- أتحبين أن يناديكِ نيكي؟

هزت كتفيها من دون أن تنظر إليه مباشرة، وردت بصراحة «إنه اسم من حياة مختلفة».

تابع سؤاله يريد أن يعرف أكثر: «وهل تجاوزته؟».

- أجل ولا.

ورفعت نظرها نحوه ببطء. اللون البني القاتم لعينيها عكس بطريقة ما مشاعرها. وأكملت: «أيمكن فعلاً أن نترك الماضي خلفنا؟ ألسنا حصيلة كل سنواتنا؟»

ظهرت ابتسامة على شفتيها المغريتين. «وربما أكثر. انظر إلى نفسك».

- ماذا عني؟

- لديك إرث يعيش معك. ألا تشعر بهذا؟

- لا فأنا ما أنا عليه.

- أنت واحد من رجال عائلة كينغ، مثل أليكس وطوني اللذين اخترت كلاً منهما مثالاً لما يجب أن يكون عليه الأب. وأنا واثقة أنك تعتبر نفسك متمتعاً بالصفات نفسها صفات رجال أسرة كينغ

قطب وهو يسمع كلامها. إنه فخور باستقلاليته ولا يريد أن يفكر أنه مثل أخويه. مع ذلك فجميعهم لديهم الخلفية العائلية ذاتها، التربية ذاتها.. هناك عوامل مشتركة بينهم ومبادىء مشتركة.. مبادىء أدخلت في رؤوسهم على يد جدتهم، وإرثهم..

مر بهما نادل يحمل صينية مرطبات، فالتقطت نيكول كأساً وأخذ ماك كأساً قبل أن يتحرك الساقي وراح يفكر بإرث نيكول وهو يرتشف العصير.

أمها إيرلندية التقت بارلي ريدمان وهو يقوم بجولة في دوبلن



فوقعت في حبه وتزوجته وقدمت معه إلى أستراليا ولم يكن لدى نيكول عائلة في سيدني تتكل عليها حين ماتت أمها. ولم يكن لدى أبيها عائلة أيضاً. فقد أمضى معظم حياته في ملجأ للأيتام، وعلى الأرجح أنه لم يعرف كيف يكون عليه الأب.

الناس هم حصيلة حياتهم! فماذا يجعل هذا من نيكول إذن؟ حاسة سادسة قالت له إن الرد على سؤاله سيكون فورياً.

- لماذا قبلت بهذا المشروع؟

نظرت إليه وفي عينيها سخرية: «لأرى كيف تكون الحياة مختلفة»

حياة عائلة لها جذور عميقة، وهو جزء منها. شعر ماث بالصدمة. ألهذا السبب كذلك قبلت أن يعانقها؟ لتعيش تجربة حميمة مع أحد أفراد أسرة كينغ؟

سيطر القلق على تفكيره. ربما كانت تفكر بهذا منذ التقيا في مكتبه، حين جاءت إلى الحديقة العامة... كانت تفكر بالأمر وترغب به حين كانت تنظر إليه وهو يريها الصور في بيته، ولو لم يتهمها بعدم الكفاءة ويسيء لكرامتها المهنية...

لكنهما تجاوزا هذا الآن. لقد قبلت برفقته الليلة من دون تردد، وتمتعت بكل لحظة معه كما تمتع هو، لذا قد ترغب في المزيد.

كان رأسها محنياً قليلاً وكأنها تتأمل محتويات كأسها واتجهت نظرته إلى الشعلة المتألقة لشعرها الأحمر الملتهب، والحرير الناعم الذي يداعب بشرتها البيضاء على ظهرها فوق فتحة فستانها.

كانت تمرر إصبعها بتكاسل حول حافة الكأس. للحظة، شعر برغبة تدفعه لأن ينتزعه منها ويجبرها على النظر إليه.

رفعت رأسها إليه والحزن بادٍ في عينيها، ما جعله يسخر بقوة من

رغبته السابقة تلك.

- بشأن ما قلته عن الفتنة... والدي وبيتر لم تكن وراؤهما عائلة والفتنة هي نوع من الدفاع ضد الفراغ، ووسيلة لتعجب الآخرين الحاجة لأن يعجب بهما الجميع، ولو على المستوى السطحي.

صمتت وعيناها تتوسلان إليه لأن يفهمها: «أنت لا تشعر بهذه الحاجة ماث. أنت آمن جداً في الحياة التي ولدت فيها، وهذا يشكل فارقاً كبيراً».

جاء كلامها كعقاب له. لقد كان محظوظاً أكثر من الآخرين بوجود عائلته، لا مجال لإنكار هذا. مع ذلك لا يمكنه أن يتصور أنه لا يستطيع شق طريقه بنفسه ليصل إلى ما يفتخر به، ولم يتقبل مطلقاً أنه ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، أو أنه كان مستنداً على إرث عائلته في كل ما قام به.

وقال متردداً: «ربما هذا صحيح، لكن في النهاية، كل شخص مسؤول عما يفعل في حياته الخاصة. فلكل منا خياراته».

ولقد اختارت أن تتجاوب معه عندما عانقها!

لا بد أنها قرأت أفكاره، فغمرتها موجة حرارة تصاعدت إلى خديها. وتساءل عما إذا كانت تلعن لون بشرتها البيضاء لأنها مثل بارومتر يفضح مشاعرها. منحته مراقبتها شيئاً من الاكتفاء، ولو أنه كان يفضل أن يطوقها بذراعيه، فقد تشوقت يداه لهذا.

جادلت نيكول: «أعتقد أن الخيارات تحددها التجارب السابقة، لكن الناس يختارونها لأن...».

وصمتت، تفكر بما رأته في عينيه.

ولم يكن ماث يخفي ما يفكر به وما يريده. فأنهى كلامها بالقول «لأن مشاعرنا دفعت بالخيارات في هذا الاتجاه؟»



همست: «أجل».

- وحين يكون هناك مشاعر مشتركة يكون السير معها أكثر سهولة، ولماذا لا؟ لماذا لا نرى إلى أين تقودنا!

وقفت جامدة تماماً. نظرتها مسمرة إلى نظرته، شفتاها منفرجتان قليلاً وكأنها بحاجة إلى المزيد من الهواء. وشك ماث أن يكون التوتر قد تملكها مثلما تملكه. ولم تتكلم. وشعر ماث أن عليهما الخروج من هذا المكان ليكونا وحدهما.

اقترب منهما نادل يعرض صينية أخرى من المقبلات اللذيذة، وأخذ ماث الكأس الفارغة من يد نيكول لأنها كادت تنزلق من بين أصابعها. ووضع كأسيهما على الصينية لن يعطيها ماث وقتاً لإعادة السيطرة على نفسها. وقال آمراً: «تعالي معي».

وانطلق يشق طريقه عبر الجمع المحتفل وهو يجرها معه. ولم تحاول أن تبعد نفسها عنه.

إذعانها له جعله يشعر أنه على صواب، ولا شيء سيوقفه. كان عليهما المرور بجدته وروزيتا، ولم يهتم ماث بهما ولا بماذا تفكران بشأن مغادرته للحفلة مع نيكول. لا شيء يهم!

وخطرت بباله جملة كان سمعها من الفيلم القديم «حرب النجوم»: «لتكن القوى العظمى معك!». إنها معه على أي حال تضج في مجرى دمه، تعطي النشاط لكل عضلة في جسمه.

أخيراً تحررا من غرفة الاحتفال، وخرجا إلى الممر متجهين إلى المصاعد. شدت نيكول على يده وصاحت مقطوعة الأنفاس: «إلى أين تأخذني؟».

- إلى حيث نكون لوحدنا معاً.

وتوقف بما يكفي ليترك يدها ويضع ذراعه حول وسطها، كأنه يريد

أن يلصقها إلى جانبه. وكاد يحملها معه في آخر خطوات نحو مجموعة المصاعد وضغط على الزر الذي يعطيهما حق المرور إلى أحدها.

شهقت، وهي مقطوعة الأنفاس: «من غير اللائق أن نغادر الحفلة بهذا الشكل».

ـ أوه بلى، إنه لائق جداً!

ـ أظن...

ولمعت عيناه كالجمر وهو يقول: «هذه هي المشكلة. أنت تظنين كثيراً».

وانفتحت الأبواب. ودفعها إلى داخل المقصورة الفارغة وضغط على زر الطابق حيث غرفته.

قال بعد أن أغلق البابين: «إنها ليست مسألة رمادية، إنها بالأبيض والأسود».

وأدارها نحوه وهو يدس يداً في شعرها الرائع ليبقي رأسها مرفوعاً نحوه. وأضاف برضى عميق: «والأحمر..»

أحب ملمس شعرها، ورغب بمعانقتها فأحنى رأسه ليأخذها معه في عناق رائع جعل مشاعرها تغلي في داخلها وأحست بفوران الحب الجامح، يثير فيها عواطف قوية لم تخطر ببالها من قبل.

ثم انفتح باب المصعد، وبقي ممسكاً بها، وقرّبها إلى صدره، حيث كان قلبه يخفق بقوة كأنه يحاول الخروج من صدره.

ما إن خرجا من المصعد حتى شعرت نيكول وكأنها استفاقت من حلم غريب، فضربت يدها على صدره بشكل لا يصدق، وبدأت المقاومة. وأخذت صيحاتها الشرسة ترن في أذنيه: «دعني!»

وتوقف، ينظر بحيرة إليها. بدت له جادة، تريد أن يتركها. أبعد يديه عنها وهو لا يفهم لماذا كل هذا الضجيج.



انتزعت نيكول نفسها منه، وابتعدت لتضع مسافة بينهما، ثم تراجعت نحو المصعد، ويداها مرتفعتان في حركة صادة، ووجهها محترق باحتجاج حار: «لا أريدك أن تعانقني مرة أخرى!».

واحتار ماث لتصرفها هذا، لقد استجابت لعناقه منذ قليل: «لكن، لماذا؟».

وارتفع صدرها وهي تأخذ نفساً ترمي المزيد من الكلمات في وجهه: «لا أريدك أن تعانقني كلما شعرت برغبة في ذلك».

تقدم إلى الأمام: «الآن مهلك لحظة، أنت..»

وخرج صوتها كلذعة سوط: «قف حيث أنت! ولا تجرؤ على الإمساك بي مرة أخرى!».

توقف، وشد يديه في قبضتين محبطتين وقال: «لقد جئت معي نيكول»

ردت بحدة: «أجل لكنني عدت إلى رشدي الآن، ولن أجيء معك أكثر من هذا ماث كينغ».

ـ ولماذا لا؟

ـ لأنني لست معجبة بنفسي بسبب انجذابي إليك، ولا أريد عناقك هذا أبداً.

جادلها بعنف: «كان الأمر جيداً! لقد بدوت منسجمة معي».

ـ هذا كل ما تريده مني، أليس كذلك؟ المزيد من العناق والعبث.

قال ماث بحرارة: «لم يبد عليك الانزعاج لعناقي».

خدشت الحرارة خديها: «وتظن أن بإمكاننا أن نستمر كذلك؟»

لكن كرامته لم تسمح له بالتراجع: «تبدو لي فكرة جيدة».

هزت رأسها: «أنا لست هكذا».

ـ ماذا تعنين؟

ولمعت عيناها بكبرياء مزدرية: «أعني.. جد لنفسك امرأة أخرى لتعبث معها، فأنا لا أريد مثل هذا النوع من العلاقات».

استدارت وضربت على الزر لاستدعاء أحد المصاعد. شعر ماث بأنه حفر هوة بيده بينهما لكن كيف يكون هذا؟ الرغبة كانت مشتركة فما الخطأ في أن يكون المرء صادقاً؟ لقد استجابت لعناقه في المصعد، وتعلقت به بشوق.

صاح بها: «ماذا تريدين؟»

هزت رأسها: «سأعود إلى الحفلة».

أبقت نظرها مسمراً على السهم الذي يشير إلى صعود المصعد.

ـ نيكول!

ولم تنظر إليه.

ـ أقل ما يمكن أن تفعليه، أن تردي علي.

ـ فقط، دعني وشأني.. أرجوك.

وتهدج صوتها، وصُدم ماث. إنها فعلاً في كرب شديد، وربما كانت تبكي، فماذا أفعل؟

قبل أن يتمكن من التفكير كيف سيصلح الموقف، انفتح باب المصعد ودخلت إليه بغضب مذعور، وسقط رأسها إلى الأمام، وانتشر شعرها يسدل ستاراً أحمر على وجهها الأبيض ولم يعد هناك لون في وجهها.

بدأت الأبواب تنزلق لتقفل، وتحرك ماث غريزياً ليمنع إقفالها. لم يرغب بأن تكون هذه نهاية علاقته بنيكول ريدمان. إلا أنها صاحت بيأس: «لا تفعل! أرجوك لا تفعل! دعني أذهب!»

ومدت يديها نحوه في اهتياج مجنون وهي تتراجع نحو الجدار



الأخير من المقصورة الصغيرة، وعيناها تسبحان بالدموع، ورموشها ترف ذعراً. ولم تتمكن من منع دموعها من الهبوط على خديها.

طالبها ماث بصوت أجش: «قولي لي فقط ماذا تريدين؟ ما الذي تخشين ألا أعطيه لك؟ أحتاج إلى جواب».

ـ أنت تحتاج..

واختنقت حنجرتها.

أحنت رأسها تلف ذراعيها حول صدرها تحمي نفسها. أراد أن يعانقها ويهدىء من كربها، لكن رفضها له جعل الأمر مستحيلاً.

ارتفع رأسها ببطء، وعالياً، وارتفع ذقنها بتفاخر وقالت بصوت أجش: «أريد أن أكون محبوبة. أريد شخصاً يهتم لأمري، يرعاني. حياتي فارغة من كل هذا.. فارغة..».

برزت هذه الحقيقة أمامه على الفور، لا عائلة ولا ارتباط. ومما قرأه في كتابها، كانت نيكول تقدم كل الحب والعناية والاهتمام لأبيها العليل. ولم تحصل على شيء في المقابل.

التوى فمها في تكشيرة ساخرة وهي تضيف: «والرغبة الجسدية لا تملأ هذا الفراغ، ولن تملأه أبداً».

أخجله هذا، وجعله يدرك كم كان أعمى.

ـ أرجوك.. أتدعني أذهب الآن؟

وماذا يستطيع أن يفعل؟

تراجع إلى الوراء وتركها تذهب. راقب الباب وهو ينزلق مقفلاً، وأدرك أن لا شيء يستطيع قوله يمكن أن يغيّر رأيها به ما من قوة في العالم يمكن أن تجبرها على رؤيته بشكل مختلف، خاصة في هذه المرحلة. إضافة إلى أنه غير مستعد لإعطائها ما تريده..

الحب.. الزواج.. والعائلة كلها ليست على جدول أعماله.

لكنه كره أن يتركها.. وحيدة هكذا.. وفارغة. فهذا يجعله يشعر بالفراغ هو كذلك.

***



## ١٤ ـ مزاح مؤلم

تنهدت إيزابيلا فاليري كينغ برضى، وابتسمت إلى صديقتها وموضع ثقتها منذ زمن طويل: «يا لها من ليلة ممتازة روزيتا».

كانت المرأتان تجلسان بارتياح على مقعدين في الزاوية الخلفية من غرفة الاحتفالات. لم يكن صوت الموسيقى التي تعزفها الفرقة مرتفعاً هنا، ما سمح لهما بالحديث من دون صياح. على الطاولة أمامهما وضعت مختارات من الحلوى.. تارت فاكهة صغير، كايك بالجبن، قطع تفاح. راحت روزيتا تتذوقها واحدة واحدة وهي تتفحص النوعية.

ـ كل شيء جيد هنا. لكنني مسرورة بشكل خاص لغياب بعض الناس لا لوجود بعضهم.

وسمحت إيزابيلا لنفسها بابتسامة خبيثة: «ماثيو بكل تأكيد يأخذ زمام المبادرة. لقد جعل من نفسه مرافقاً لنيكول هذه الليلة، ومنذ قليل تركا الغرفة وهما غارقان ببعضهما البعض».

ذكّرتها روزيتا: «قد تتأخر كتابة التاريخ إذاً! حين يصمم ماثيو على شيء لا يترك مجالاً للعشب أن ينمو تحت قدميه، ولسوف يشتت ذلك تركيز نيكول».

ـ أفضّل أن يكون لنا أسرة صغيرة أخرى في عائلتنا، ويمكن كتابة التاريخ بعد حل كل الأمور.



www.elromancia.com

- وهل أنت واثقة أنهما مناسبان معاً؟

- ألم تري الطريقة التي كانا ينظران فيها إلى بعضهما حين كانت نيكول تنزل السلم إلى البهو؟

- رأيت أنها تبدو مذهلة، جميلة جداً وسيعجب بها أي رجل.

- لا، كان الأمر أكثر من هذا، أنا متأكدة

- إذن فلنأمل هذا. إنها وحيدة جداً، هذه الفتاة، وتشغل نفسها في حياة الآخرين...

هزت روزيتا رأسها بحزن: «يجب أن يكون لها حياة خاصة بها، زوج وأطفال».

وكانت إيزابيلا موافقة إلى أقصى حدّ نيكول مناسبة لماثيو، وقوية جداً، وهي تملك الكثير من الحب لتعطيه، وإحساس بالولاء يجري عميقاً. امرأة ستقف دائماً إلى جانب زوجها في مواجهة أية صعوبات.

دارت نظرتها في الحشد، ورأت مكان حفيديها الآخرين وزوجتيهما... ثنائيان يتوهجان سعادة. خالجها إحساس بالانتصار الدافيء. لو تزوج ماثيو من نيكول...

ها هي!

وجلست إيزابيلا مستقيمة في مقعدها، ظهرها متصلب للمنظر الذي لم يعجبها أبداً: «نيكول لوحدها. أين هو ماثيو؟»

كان معظم الناس قد تقدموا إلى حلبة الرقص. وكان من الواضح أن نيكول دخلت لتوها غرفة الاحتفال، وهي تنظر باحثة بلهفة.

أتبحث عن ماثيو؟ إنه ليس هنا.

وبدت مضطربة. كانت يداها تعبثان بحقيبة السهرة الصغيرة التي تمسكها أمامها. ولم يعجب هذا إيزابيلا... ما الذي حدث ليضع نيكول في مثل هذه الحالة؟ وأين هو ماثيو؟



أمسكت إيزابيلا ذراع روزيتا تسترعي انتباهها نحو نيكول: «روزيتا، الأمور لا تسير كما يجب. بسرعة، تظاهري أنك ذاهبة إلى غرفة السيدات.. وأنت تمرين قرب نيكول أشيري لها عن مكان وجودي».

احتجت روزيتا: «ليس من الجيد التدخل».

أمرتها إيزابيلا: «اذهبي! اذهبي!»

وكاد صبرها ينفد من دون أن تعرف ما الخطأ.

وقفت روزيتا وشقت طريقها إلى غرفة السيدات. وحضرت إيزابيلا ابتسامة مرحبة كي تلوح على شفتيها. وهزت نيكول رأسها بتوتر لرؤية روزيتا وقد بدت مشدودة الأعصاب. ولعبت روزيتا دورها وأجبرت تلويحة من ذراعها نيكول على أن تنظر إلى إيزابيلا التي قدمت لها ابتسامتها فوراً، وبوصفها مخدومتها، كانت نيكول مجبرة على الرد مهما كان مزاجها الداخلي.

لم تشعر إيزابيلا بأي ذنب في استخدامها لسلطتها وهي تراقب المرأة الشابة تشق طريقها نحوها ببطء. المهم أن تعرف ماذا يجري الآن، فالتوتر الذي لاحظته بين نيكول وماثيو في المسرح من المفترض أن يكون قد تلاشى. فقد بدا عليهما الانسجام كثيراً لحظة وصلا إلى الحفلة. من الواضح أنهما تناغما معاً.

منذ متى خرجا من غرفة الاحتفال؟ منذ عشرين دقيقة؟ نصف ساعة؟ لا بد أن نزاعاً نشب بينهما فمن هو المخطيء بينهما؟ أيمكن إصلاح الأمور؟

حيّتها نيكول بصوت ثابت: «سيدة كينغ»

أشارت إيزابيلا إلى مقعد روزيتا الفارغ ودعتها: «تعالي واجلسي إلى جانبي حتى تعود روزيتا».

استدارت نيكول حول الطاولة وجلست من دون أية محاولة للحديث، وأقلق الإذعان السلبي إيزابيلا أكثر فأكثر: «ظننت أن ماثيو يرعاك هذه الليلة».

أبقت لهجتها لا مبالية. وأجفلت نيكول بشكل ظاهر، وقالت مصححة وهي تنظر حولها في الغرفة متجنبة النظر إلى إيزابيلا مباشرة: «كان معي قبل قليل، ولا أعرف أين هو الآن».

- ألم أشاهدكما تغادران الحفلة معاً؟

- لقد.. افترقنا.. ذهبت إلى غرفة السيدات.

- من قلة الذوق أن لا ينتظرك! يجب أن أتكلم مع هذا الغبي.

احمر خدا نيكول: «ليس من واجبه أن يرعاني سيدة كينغ، وأنا بالتأكيد لا أريده أن يشعر أنه مضطر لهذا».

وفكرت إيزابيلا.. إنها الكبرياء. وقطبت مخاطبة نيكول: «ألا يعجبك أصغر أحفادي؟ هل فعل ماثيو شيئاً أغضبك؟».

ردت نيكول على الفور: «أرجوك، لا تفكري هكذا! كان لطفاً منه مرافقتي إلى المسرح ومنه. وربما أراد أن ينام باكراً وأنا سعيدة تماماً سيدة كينغ».

بل يائسة تماماً!

قالت إيزابيلا تضغط: «ما كان يجب أن يهجرك».

وتوسلت إليها عينان ذابلتان: «لم يفعل هذا حقاً وحفيدك حر في أن يفعل ما يشاء، مثلي تماماً».

حر؟

الحرية غير مرغوبة هنا في رأي إيزابيلا، فهي تجعل ماثيو يقوم بأشياء خطيرة وسخيفة لأن ليس لديه مسؤولية زوجة وعائلة. أما نيكول، فماذا كانت حرة لتفعل؟ الكتب والمزيد من الكتب؟



تمنت لو تستطيع ضرب رأسيهما معاً، وإدخال بعض التعقل إليهما. بدا واضحاً أنهما وصلا إلى مفترق طرق وانزعجت إيزابيلا كثيراً لهذا، ورمت الحذر أدراج الرياح: «لا يعجبني هذا. أدركت منذ بعض الوقت أن هناك احتكاكاً بينكما، ولم تكوني سعيدة بعد زيارتك لكاوري كينغ بارك. وجهدت كي تتجنبي صحبته منذ ذلك الوقت».

هذه الملاحظة أجفلت نيكول، لكنها عضت شفتيها دون تعليق.

وأكملت إيزابيلا: «ولا يمكن لهذا أن يكون مناسباً لك، نظراً لموقعك داخل دائرة العائلة. وكنت آمل أن ينتهي الخلاف هذه الليلة فلماذا لم يحدث؟ نيكول، سأشعر أنني مجبرة على التدخل و..»

لمعت عينا نيكول بعنف مجنون: «لا؟ ليس هناك شيء... لا شيء بيننا».

وأدركت أن هذا القول لم يجب على الأسئلة المطروحة فأضافت: «كان هناك.. خلافات وأنهيناها. حقاً، لا داعي لكي تقولي أي شيء سيدة كينغ. وأنا آسفة لقلقك».

- إذن، كل شيء على ما يرام الآن؟

ترددت نيكول، وفتشت عن كلمات تتخطى المشكلة: «كلانا يعرف أين يقف، وهذا ما يجعل الأمر أكثر سهولة».

- أكان هناك سوء تفاهم؟

- أجل، لكنه انتهى. لذا فكل شيء على ما يرام حقاً

وأبعدت تركيزها عن إيزابيلا، وثبتت نظرتها على الحشد في باحة الرقص. ثم صاحت: «هذا هو بيتر!»

وقفزت واقفة على قدميها، ونظرت إلى إيزابيلا متوسلة: «أرجوك أعذريني سيدة كينغ. قال إنه سيرقص وسأحب قضاء بعض الوقت معه».

ابتسمت إيزابيلا: «بالطبع. اذهبي واستمتعي بوقتك».

قالت نيكول براحة شديدة: «شكراً لك».

هزت إيزابيلا رأسها وهي تراقب نيكول تشق طريقها إلى جانب بيتر أوين. غبي من يترك هذه المرأة تذهب! ورحب بيتر بصحبتها، وبدا سعيداً وهو يجرها إلى حلبة الرقص، ويعطيها البهجة التي تسعى إليها معه.

شعرت إيزابيلا بالاحباط بعد الحديث الذي كشف، أن نيكول ومانيو كانا قطبين متنافرين. لكن المشاعر بينهما موجودة، وحقيقية جداً. وإلا لما كانت نيكول يائسة إلى هذا الحد. أما بالنسبة لمانيو، فأين هو؟ لماذا يدير ظهره للمشاعر التي جذبت نيكول إلى خارج هذه الغرفة معه؟

ونظرت إيزابيلا لترى ما إذا كانت روزيتا في طريق عودتها من غرفة السيدات، وتوقف قلبها عن الخفقان للحظة حين لمحت مانيو يقف عند مدخل غرفة الاحتفال، وجهه مشدود وكأنما تلقى ضربة لتوه، وعيناه ترسلان شرارات لماعة وهما تراقبان من يحتل باحة الرقص، وبشكل خاص بيتر ونيكول دون أدنى شك.

وانقبضت يداه. لكنه لم يتحرك ليقترب أكثر، أو ليقاطع بيتر. أهو متردد حول ما يجب أن تكون عليه حركته التالية؟

وظهرت روزيتا خلفه، فأشارت إيزابيلا فوراً إليها لتمسك بمانيو وتأتي به إليها. وتنهدت روزيتا تنهيدة مؤنبة، لكنها تقدمت ولمست ذراعه لتجذب اهتمامه فاستدار مانيو مقطباً، ثم استرخى وجهه بعد أن رأى من يلمسه. تحدثا لبضع لحظات، وأشارت روزيتا إلى طاولتهما، وأعطت إيزابيلا حفيدها نظرة مشرقة، وضمت نهاية لتردده كما فعلت مع نيكول.



شبك ماث ذراع روزيتا، ورافقها إلى مقعدها. إنه يتصرف كالجنتلمان الذي دربته إيزابيلا أن يكونه. وأطرق برأسه نحوها: «نونا، عرفت أنك لا زلت تستمتعين. ألست مستعدة للعودة بعد؟»

- مثل هذه الليالي الرائعة لا تأتي دائماً مانيو. في مثل سني من يعرف كم سأحضر منها؟

كان هذا نوعاً من الابتزاز. وابتسمت متوسلة: «خذ لنفسك مقعداً آخر، وشاركني بضع دقائق».

أجفل قليلاً وهو ينحني أمام ضغطها، وأخذ مقعداً من قرب طاولة أخرى ووضعه إلى جانبها، وجلس فيه باستسلام، ووجه ابتسامة باردة نحو روزيتا:

- تضعين على الطاولة أمامك مختارات رائعة من الحلوى.

دعته: «خذ ما شئت مانيو.. الكايك بالجبن جيد جداً».

- لا شكراً، لست جائعاً وأنا مسرور لأنك تستمتعين بها.

قاطعته إيزابيلا: «وأنت مانيو؟ أكنت تستمتع؟»

هز كتفيه: «كانت المسرحية عظيمة، وهذه بالتأكيد ليلة تستحق الاحتفال».

- ربما تحب أن ترقص الآن. فهل أمنعك أنا من هذا؟

رد بلهجة غير مكترثة: «يمكن للرقص أن ينتظر».

وحاولت إيزابيلا إثارته: «أرى أن نيكول ترقص مع بيتر، ما أروع أن تجدد علاقتهما القديمة».

- دون شك.. الخلفية المشتركة تكون متجانسة دائماً.

أهذه هي المشكلة؟ لقد قرأ «طبول أولي»... أيعتقد أن خلفية نيكول العائلية تمنعها من بناء حياة لها هنا؟ ألا يعلم أن الحب عندما يكون قوياً بما يكفي، لا شيء يعيقه؟ أمها أبحرت حول نصف العالم

لتكون مع أبيها في أرض غريبة جداً، وهي نفسها كانت ستذهب إلى براري كمبرلي لو أن زوجها عاش بعد الحرب. هل أطلق عليها ماثيو حكماً مسبقاً وتوقف عنده؟

قالت: «لا أعتقد أن نيكول تفكر بمثل هذه الذكريات. لقد قست عليها الحياة، وقد ذكرت لي عدة مرات كم تحب الحياة في «بورت دوغلاس»، وأعتقد أنها ستبقى هناك بعد إنهاء مشروعها».

جاء السؤال الساخر: «تفعل ماذا؟ إنها مضطرة للعودة إلى سيدني ما إن ينتهي عقدها، لا شيء لديها هنا».

ـ لا شيء لديها أيضاً في سيدني. ليس لديها عائلة تشدها إليها، لا منزل دائم، نيكول تريد فرصة لكتابة القصص ويمكن للمرء أن يكتب في أي مكان ماثيو.

قطب ماث ثم تمتم: «ستؤثر الحرارة عليها. ستة أشهر في المنطقة الإستوائية ستكون طويلة بما يكفي».

ـ الكثير من الناس يحبون الطقس الإستوائي. انظر إلى هانا، إنها من سيدني.

ـ ليس لهانا شعر أحمر وبشرة بيضاء

نظرت إيزابيلا إليه بعجب: «وما دخل هذا بأي شيء؟».

كشر وقام بحركة لا مبالاة حادة: «ستحترق نيكول، سوف تعاني من ضربات الشمس، وواضح أنها غير مناسبة ل...».

قاطعته إيزابيلا وقد أسخطها حكمه السطحي: «لقد قابلت أسرة كينغ من كامبرلي. زوجة طوني كينغ، سامنثا، لها شعر أحمر كالجرر وبشرة بيضاء جداً. لقد ولدت وتربت في البراري حيث الحرارة والشمس لاذعتان أكثر مما هما في «بورت دوغلاس»».

قال مجادلاً: «هكذا كانت حياتها دائماً».



ـ وتظن أن نيكول ريدمان لا تستطيع تحملها؟ ألم تقل إنك قرأت كتابها عن والدها ماثيو؟

لم يرغب في أن يذكره أحد بهذا، فرد بحدة: «أجل، قرأته».

ـ إذن، ألم يخطر ببالك أن نيكول متمسكة بالحياة؟

وتابعت إيزابيلا غير مترددة في مهمتها لإزالة الغشاوة عن عيني حفيدها الأعمى: «لقد واجهت هذه الفتاة أسوأ الظروف التي يمكن أن تواجه طفلة، واجتازت كل العقبات بقوة لا أستطيع سوى الإعجاب بها. لقد تحلّت بالشجاعة والتصميم اللذين يميزان أكبر القادة. عاشت مغامرة مذهلة من دون خوف، تعاملت مع صعوبات كبيرة و...»

ـ لقد أضاعت حياتها على رجل لا يستحق ما فعلته لأجله.

ردت إيزابيلا بغضب لوجهة النظر هذه: «كان والدها أما كنت ستنقذ والدك لو استطعت؟»

ـ أجل.. كنت واجهت الإعصار الذي قتله لو كنت قربه، لكن...

ـ نحن نتكلم هنا عن الدم العائلي... الالتزام العائلي، وهذا ما ينقصنا في المجتمع الحديث. إنها من نوعية أقدرها جداً، ولقد خاب أملي لأنك تفكر هكذا ماثيو.

نظر إليها ماث بغضب صرف: «نونا..؟»

أبعد رأسه عنها، وأخذ نفساً عميقاً، ثم زفر ببطء ووقف لينظر إليها بعينين ضيقتين: «أنا حقاً لا أرغب في مناقشة موضوع نيكول ريدمان أكثر من هذا. لدي سفر مبكر في الصباح، لذا أرجوك أن تعذريني. عمت مساء نونا، روزيتا..»

وسار مبتعداً بكبرياء من دون أن ينظر إلى حلبة الرقص. تعمد إنكار أي اهتمام، مهما كان نوعه بنيكول ريدمان. لكن إيزابيلا لم تكن تشك أبداً أنه يحاول التحجج بعذر كي لا يلزم نفسه بعلاقة جدية مع

نيكول. أما لماذا يريد عذراً، فقد كان هذا أبعد من تفكيرها.

أتعني الحرية هذا القدر له؟

تمتمت روزيتا: «إنه غاضب جداً».

تنهدت إيزابيلا: «كدت أفقد أعصابي».

واستدارت إلى صديقتها العجوز: «هل سمعت يوماً مثل هذا الهراء روزيتا؟».

وقامت بحركة إيطالية معبّرة: «أظنه متألم جداً. لكنه لا يرغب في قول هذا».

هكذا هو ماثيو، يمزح ليخفف من الأمور التي تؤلم.

- لكنه لم يكن يمزح الليلة.

- وهذا يعني أنه ألم سيء جداً.

هزت إيزابيلا رأسها تعلق: «كلاهما متألم. والسؤال هو، هل يمكن أن يتجاوزا هذه الليلة؟ وهل هو على استعداد ليحطم الحواجز التي وضعها بنفسه في نيكول؟»

ولمعت عيناها بإحباط عميق: «هذا أبعد من قدرتي. وحده ماثيو قادر على فعله، روزيتا، وحده، إذا ما كانت لديه الإرادة الكافية».

* * *



## ١٥ - قربك عذاب

إنه يوم الأحد صباحاً. اليوم لن تعمل نيكول لكنها قررت أن تستغل فترة ما قبل الظهر لتتجول في الأسواق. كما فكرت بشراء هدية، ولو مبكرة، لمولود هانا. أتراها تخشى أن يأتي ماث لزيارة جدته لذا تجد نفسها بحاجة إلى الخروج من القصر؟

منذ بضعة أيام فقط جاء إلى القصر وانضم إلى جدته لتناول شاي بعد الظهر. وخرج إلى الظليلة حيث كانت نيكول تجلس مع مخدومتها معلناً بابتهاج: «لقد تركت لتوي صندوق فاكهة عند روزيتا في المطبخ».

وبابتسامة موجهة لها أضاف: «لقد جئت ببعض «المانغوستين» خصيصاً لك نيكول. إنها المفضلة عندك، أليس كذلك؟»

- أجل. شكراً لك!

وتمكنت من الرد وهي تحاول كتم الاحمرار الناشيء عن تذكيره لها بتذوق الفاكهة

ولحسن الحظ تحدث ماث إلى جدته لفترة، وأعطى نيكول الوقت لتتكيف مع وجوده. لكن تفكيرها بقي مضطرباً. ذكره للفاكهة بدا وكأنه إشارة على أنه لا يزال يريدها أكان يتطلع إلى فرصة أخرى معها؟

أبقت عينيها إلى الأسفل كان من المثير للاضطراب سماع صوته، والاحساس بطاقته حولها وحين سأل عن تقدمها في العمل، أجبرها

على النظر إليه. وكان عليها أن تركز بجهد على إعطاء ردود واضحة بدا فاتناً في طرحه للأسئلة ولم ينتقد أبداً، أو يطلق تعليقات شريرة مع ذلك فإن زيارته التي استغرقت نصف ساعة تركتها مرهقة تماماً

حتى لو تصرف بتهذيب معها، فهي لا تريد أن تكون قربه إنه ضغط لا تتحمله، في مقاومة جاذبيته، وهي بالتأكيد لا تريد أن تدفعه لعرض الزواج عليها فسيكون هذا إذلالاً لها، لعلمها أنه لا يفكر بها كزوجة له

بعد أربع ساعات من التجوال في السوق، أحست نيكول أنها أفضل حالاً. سارت نحو مرسى المراكب، وأكملت سيرها بتكاسل لبعض الوقت، تراقب الحركة على المراكب، وجالت حول منصات البيع في السوق وأطالت المكوث حول تلك التي تعرض الملابس والألعاب. واشترت أخيراً هدية لطفل هانا، وهي تقول لنفسها إن الوقت مبكراً جداً لمثل هذه الهدية، وربما من الأفضل الانتظار حتى تستقر الأمور بالنسبة لها. لكنها لن تستقر هنا، في بورت دوغلاس لن تستطيع العيش في أي مكان قرب ماث كينغ

كانت تحب بقية عائلته كثيراً. فاليكس وجينا استأجرا شقة في بريزبن، طيلة مدة عرض المسرحية. ومع تنقل أليكس من وإلى بورت دوغلاس كما يتطلب عمله، اشتاقت السيدة كينغ إلى أن يكونوا قريبين منها، خاصة الولدين. لكن طوني وهانا اليوم جاءا لتناول الغداء في القصر ورفقتهما تبهجها دائماً

في العادة، تستمتع نيكول بوقتها معهم، فهم أشخاص سعداء لكن سعادتهم اليوم وهم يجلسون قرب نافورة الماء، جعلتها تشعر بالحزن.

ـ ماث!



صيحة طوني المتعجبة أرسلت صدمة إلى قلبها. دار رأسها واتجهت نظرتها بقوة إلى الرجل الخارج من القصر يلوح بأدوات المائدة ومستلزماتها.

ـ قالت روزينا إنكم تتناولون الغداء في الخارج فجئت لأجل الوليمة.

قالت هانا شارحة: «هناك نسيم لطيف، ولم نرغب في تناول الطعام في الداخل».

وافق ماث: «تفكير جيد! سأنقلك إلى مقعد آخر هانا كي أستطيع الجلوس إلى جانب نونا».

وابتسم لجدته: «أعتقد أنني مرحب بي هنا».

ردت ابتسامته: «دائماً ماثيو».

ـ مرحباً نيكول.

وهز لها رأسه وهو يعيد ترتيب الجلسة: «كيف حالك؟»

وتمكنت من أن ترد، بشكل طبيعي: «بخير، شكراً لك».

جلس قبالتها مباشرة، وهذا يعني أنها ستواجهه طوال فترة الغداء. ولحسن الحظ، استرعى طوني كل اهتمامه، وتحدث دون انقطاع عن العمل السياحي الذي كان له الأهمية الكبرى لكليهما. قريباً ينتهي موسم الأمطار، وهذا يعني تدفق الزائرين إلى بورت دوغلاس، فالناس يرغبون في إجازة تحت أشعة الشمس وفي رحلات إلى الحاجز الصخري العظيم لاستكشاف شمالي المنطقة الاستوائية البعيدة.

وظهرت روزينا وهي تجر عربة طعام مليئة بمختلف أنواع السلطات بالإضافة إلى سمكة مرجانية ضخمة شوتها مع الأعشاب المطيبة والصنوبر. وضعت الطبق الذي يحتوي السمكة أمام طوني ليقطعها إلى شرائح. كانت الرائحة المنبعثة من الأعشاب تفوح حول

الطاولة، إلا أن نيكول فقدت شهيتها للطعام منذ أن دخل ماث عليهم، فارتشفت العصير المثلج لعلّ الفاكهة الاستوائية تساعدها لتهدئة اضطرابها.

قالت بينما كان طوني على وشك أن يقدم الطعام لها: «قطعة صغيرة فقط، أرجوك طوني».

تدخل ماث بسرعة ونظرته موجهة إليها بحدة: «لا تقيدي نفسك لأنني هنا ضيف غير متوقع. هناك أكثر مما يكفي للجميع».

قالت تتمنى بوحشية أن لا ينظر إليها مباشرة: «أنا في الواقع لست جائعة».

إنه وسيم بشكل ماكر جداً، ما جعل ضربات قلبها تزداد ثم تبطىء، وكأن قلبها سيتوقف عن الخفقان.

قالت السيدة كينغ مندهشة لنقص الشهية عند نيكول: «لكنك لم تتناولي فطوراً هذا الصباح».

وسعت بحذر إلى تفسير معقول: «فيما كنت أتجول بين منصات السوق..».

أكد لها ماث، وعيناه تلمعان بالمزاح: «استسلمت إلى سندويش القريدس الشهي؟».

هزت رأسها، وقد فقدت قدرتها على النطق. ما هو يرمي حولها سحره مجدداً، ويحولها إلى كتلة مرتجفة من الداخل.

ولحسن الحظ أنقذتها هانا: «وانظر ماذا اشترت للطفل من السوق ماث!».

ومالت إلى جانب مقعدها، وأخذت الجرافة الصغيرة الجيدة الصنع من الكيس البلاستيكي.

- أليست هدية عظيمة؟



كانت هانا تبتسم بسعادة إلى شقيق زوجها، ورد عليها ابتسامة السعادة: «رائعة! أستطيع أن أرى يدين صغيرتين تقضيان وقتاً مرحاً مع هذه».

وتابع بموافقة دافئة: «أحسنت الشراء نيكول».

لماذا يفعل بها هذا؟ لماذا هو هنا؟ ألم توضح أنها لا تريد أي شأن معه؟

إنها تريد ما لدى طوني وهانا... حب رائع بين رجل وامرأة يريدان تكوين أسرة.

سكبت في صحنها بعض السلطة، آملة أن تساعدها على فتح شهيتها على الطبق الذي مرره طوني إليها. التقطت السكين والشوكة، تقنع نفسها أن عليها أن تتصرف بشكل طبيعي، ولا تجذب أي اهتمام لحالة عذابها العاجزة.

سألها ماث، بهدف المزيد من الحديث معها: «هل تذوقت الفاكهة الاستوائية المثلجة وأنت في «آنزاك بارك»؟».

نظرت نيكول إليه نظرة عابرة وهي ترد: «لا لم أتذوقها».

تابع الحديث: «إذن فاتتك وليمة خاصة. إنها لذيذة الطعم جداً ومنعشة. من يدير منصة البيع يشتري الفاكهة مني، ويقومون بعمل رائع فيها».

تمنت لو تتجاهله، لكنها تعرف أن هذا سيعتبر قلة تهذيب في نظر السيدة كينغ، وأجبرت نيكول نفسها أن ترفع نظرها عن طبقها، وتمكنت من أن تبتسم ابتسامة سريعة: «أنا واثقة من هذا. لقد لاحظت أن لديهم صفاً كبيراً من تلك المانغا، والناس ينتظرون دورهم».

ولم تلتق عيناها بعينيه أبداً، لكن لا أحد سيلاحظ سواه. أملت أن تصله الرسالة بأنها غير مرتاحة وتفضل أن يدعها وشأنها، وتناولت

السلطة التي اختارتها شاردة الذهن مصممة على إقفال الباب في وجهه قدر الإمكان.

راح ماث يتحدث إلى جدته، وكأنه لم يلاحظ أي شيء خاطىء في تصرف نيكول. كان الأمر وكأنه لم يكن يعي أي توتر، أو أنه يتجاهله.

لكن لا شيء تغيّر بالنسبة لنيكول. كان لديها إحساس قوي بأن ماث كينغ يستغل وقته جيداً، وينتظر الفرصة المناسبة ليبعدها عن الآخرين، مع أنه لم يعط أي دليل على حبه لها. وكذلك وصوله مع تقديم الغداء. كانت واثقة أنه خطط لكل هذا. وخلف كل ذلك إرادة لا تلين ولا تتركها وشأنها.

وجعل هذا رأسها يتألم وبدأت معدتها بالثورة ضد الطعام الذي كانت تحاول جهدها أن تأكله، وارتشفت العصير يائسة. لكن لا فائدة! كل شيء فيه جعلها تشعر بالضغط والبؤس.

وضعت أدوات الطعام من يدها، ووضعت منديل الطعام إلى جانب طبقها، واندفعت واقفة عن كرسيها: «أرجوكم، أعذروني! لا بد أنني سرت طويلاً في الحرارة هذا الصباح».

ورفعت جبينها الذي كان رطباً: «أنا لا أشعر أنني بخير»

قطبت السيدة كينغ بقلق: «إذهبي واستلقي عزيزتي، سأتأكد من صحتك فيما بعد».

ـ شكراً لكم.

قالت هانا بينما كانت نيكول تستدير حول الطاولة: «ربما يكون السبب سندويش القريدس، يمكن لمثل هذا الطعام أن يكون مؤذياً».

وافقت نيكول بضعف: «أجل».

سألها ماث: «قد تكون هذه ضربة شمس؟ هل تشعرين بالحرارة نيكول؟».



ردت: «كلا إنه مجرد صداع».

تمنت لو أنهم يتركونها وشأنها دون ضجيج. نقلت نظرها إلى الباب الزجاجي أمامها لمنع أية أسئلة عن صحتها. وتكلم ماث: «سأرافقك إلى غرفتك، وأتأكد أنك بخير».

ـ لا!

واستدارت لتواجه الرجل الذي تريد الهرب منه، ويدها ترتفع في إشارة اعتراض. كان ماث قد وقف على قدميه، ضخم جداً وطويل، وبدا أنه يشرف عليها من فوق، تعثرت قدمها وهي تستدير نحوه بسرعة وما هي إلا لحظة حتى وجدت نفسها تستند إلى صدر ماث كينغ. أجلسها في مقعده، وأحست بذراعه حولها تدعمها، وصوته يرن في أذنيها وهو يجثو أمامها.

ـ تنفسي بعمق نيكول، هل أصبت بأذى؟

هل أغمي عليها؟

شعرت بالحرج من هذا الاهتمام الذي كان مركزاً عليها، فقالت بسرعة: «أنا بخير».

شهقت متكدرة تماماً لما حصل معها. ونصحها ماث وهو يجسّ جبينها: «كدت تفقدين الوعي نيكول. لست ساخنة كثيراً لكنك متعرقة».

قالت الجدة كينغ تعلق: «ربما يجب أن أستدعي طبيباً».

فقالت نيكول: «لا! في الواقع، يبدو أنني تعثرت، لكنني بخير الآن. أحتاج فقط أن أستلقي لفترة قصيرة حقاً»

قال ماث: «سأحملها إلى غرفتها نونا. وأتأكد أنها على ما يرام».

ـ إفعل هذا مائيو. وأنا سأطمئن عليها لاحقاً.

ـ أوه، أرجوكم..

وبالكاد خرجت الكلمات من نيكول قبل أن ترفعها ذراعان قويتان عن الكرسي وتحتضنانها على الصدر المليء بالعضلات الذي قاومته في فندق بريزبن.

قفز طوني عن كرسيه وسار أمامهما: «سأفتح لك الأبواب».

مقاومتهم جميعاً بدت مثل مقاومة قوة هائلة، وأحست نيكول أنها ضعيفة جداً أمامها، وتركت نفسها تحمل إلى داخل القصر. كرهت الإحساس أنها محمولة بين يديه، ولم تضع ذراعيها حول عنقه لتجعل حمله لها أسهل. فهذا سيجعلها أكثر قرباً منه، وربما سيشجعه على أية خطة خبيثة قد يفكر فيها.

لم يلحق طوني بهما، وتركتهما السيدة كينغ قرب السلم لتتابع طريقها إلى المطبخ وروزيتا. وهذا ما ترك نيكول لوحدها مع ماث كينغ وهو يصعد السلم.

توسلت إليه: «أنزلني، أستطيع أن أسير».

رد مازحاً: «غرفتك ليست بعيدة، وأستطيع تدبر أمري».

أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً. وكان هذا غلطة لأنها تنفست رائحته الرجولية الدافئة، ودار رأسها مجدداً.

قالت بحدة: «لماذا تفعل هذا؟»

وكانت غاضبة لضعفها أمام جاذبيته.

ـ تحتاجين إلى مساعدة.

ـ لا أريدك أن تحملني.

ـ بالتأكيد أنت لا تظنين أنني آخذك إلى غرفة نومك لأغويك، فيما تبدين متعبة حقاً.

وكانت أشد غضباً من أن تفكر بشكل مستقيم.

وأضاف بجفاء: «إلا أن الإغواء لم يكن ما كنا على وشك أن



نفعله، وتعرفين هذا نيكول».

ـ أنا لم أغيّر رأيي.

ولم تتوقع أن يفهم موقفها.

ـ ولم أتوقع منك هذا.

ـ لماذا أنت هنا إذن؟

ـ وهل من المفترض منعي من دخول القصر؟

وتخبطت. تعرف أن من غير المتطقي محاولة إبعاده عن جدته.

وتمتمت: «تعرف ماذا أعني».

ـ أكنت تريدين إبقائي بعيداً كي تستطيعين تجنبي؟

عضت شفتيها تسعى إلى إخفاء تأثيره عليها، لكنه كان يعرف هذا.

تابع يقول بهدوء: «لقد أوضحت وجهة نظرك نيكول، ولن أقوم بأي تصرف آخر».

ولم يكن مضطراً لذلك، فمجرد وجوده يحولها إلى كتلة من الفوضى على أي حال. وصل إلى أعلى السلم دون أي جهد ظاهر، واتجه في الممر نحو جناح الضيوف وسأل: «أي باب؟»

توسلت: «أرجوك، أنزلني الآن، سأكون بخير».

كرر سؤاله: «أي باب؟».

ـ لا أريدك أن تدخل غرفتي الخاصة. إنها خاصة بي أنا.

توقف وارتفع صدره وهو يأخذ نفساً عميقاً وعاد إلى الهبوط وهو يزفره. وببطء وحرص، أوقفها على قدميها، وبقي مكانه وهو ينتظر ليرى ما إذا كانت حقاً ستكون ثابتة بما يكفي ليتركها بأمان وقال بهدوء: «كنت أحاول العناية بك نيكول لا استغلالك... وأنا آسف لأنني تركتك تظنين السوء بي هكذا. في المرة القادمة التي نلتقي فيها، لا داعي لأن تشعري بالتوتر في صحبتي».

ـ أجل، شكراً لك! هل أستطيع الذهاب الآن؟

وابتعدت غير قادرة على النظر إليه والدموع تحرق عينيها

تمتم وهو يسقط يده: «كما تشائين».

وصلت إلى غرفتها بسرعة، تعي أنه بقي ينتظر ويراقب. وأحست براحة عظيمة وهي تغلق الباب في وجهه ووقفت مستندة إليه وتركت الدموع تتدحرج، تتبعها شهقات الألم المر.

ماث يحاول العناية بها؟

(أحتاج لمن يعتني بي، من يرعاني).

هذه هي الكلمات التي رمته بها في المصعد. أيذكرها أم أنه يتصرف معها هكذا أمام عائلته؟ إنه لا يريد إلا زيارة القصر من دون أن تتوتر، وهذا أمر مستحيل!

أوه يا إلهي! أوه يا إلهي! أوه يا إلهي! ماذا يمكن أن تفعل؟

* * *



## ١٦ ـ الحب يقرع مرة واحدة

قررت إيزابيلا فاليري كينغ أن تتدخل بجدية، فلا تترك مجالاً للنفور بين نيكول وماث. لن تسمح لماث بخسارة نيكول بسبب غبائه.

يجب القيام بعمل سريع قبل أن تعود نيكول إلى سيدني، وما إن تصبح في مسقط رأسها، حتى يكون من السهل جداً لامرأة مغامرة ومصممة أن تعيد بناء حياتها من جديد.

عقد كتابة تاريخ العائلة لم ينته بعد، ولم يكن عند إيزابيلا أي شك في قدرة نيكول على إنهاء العمل بكفاءة. لقد أصبح البحث مكتملاً وقد قررت نيكول أن الكتابة يمكن أن تتم في أي مكان آخر، لذا فهي تنوي الذهاب إلى سيدني. وتعرف إيزابيلا في قرارة نفسها أن لا عودة لها إلى بورت دوغلاس، إلا إذا تدخل ماثيو وغيّر موقفها.

دخلت إيزابيلا المكتب الرئيسي لشركة رحلات كينغ السياحية، تنوي مواجهة حفيدها الأصغر.

صاح الموظف خلف المنضدة بدهشة: «سيدة كينغ!».

هذه زيارة نادرة لم يعلن عنها مسبقاً من امرأة لها مركزها في المجتمع. سألت: «هل حفيدي في مكتبه؟».

يجب أن يكون موجوداً، فاليوم هو صباح الجمعة!



www.elromancia.com

قال الرجل، دون أن يرى سبباً يدعو للتأكد من وجود مخدومه: «أجل».

قالت تعطيه التعليمات: «جيد! لا داعي لإعلان حضوري».

وتركته يحدق خلفها وهي تسير إلى مكتب ماثيو وتقفل الباب بحزم وراءها.

رفع ماثيو نظره عن الأوراق فوق مكتبه وبدت عليه الدهشة والذهول: «نونا! ماذا تفعلين هنا؟».

وتوقفت تتساءل لأول مرة عما إذا كانت تفعل ما هو مناسب. وأعطت نفسها وقتاً أطول لتفكر فتحركت ببطء إلى الكرسي الفارغ في الجانب الآخر من المنضدة وجلست.

سأل باهتمام سريع وهو ينهض عن مقعده: «ما بك نونا، هل من سوء؟»

رفعت يدها لتقول: «أرغب فقط في التحدث إليك ماثيو».

قطب، وعاد للغوص في مقعده: «عن ماذا؟»

ـ إنه يوم الجمعة، وفكرت أنك ربما سترغب في زيارتي بعد الظهر.

هز رأسه، وجبينه لا يزال متجعداً، وأجاب بحيرة: «فكرت أن أمر بك، هل هناك مشكلة؟»

ـ نيكول ستغادرنا وستبدأ الرحلة الطويلة إلى سيدني غداً.

زاد عبوسه: «أتعنين أنها ستنهي عقدها معك؟»

ـ لا، بل ستكتب تاريخ العائلة. لكنها لن تبقى في القصر لتفعل هذا.

ـ وهل أعطت عذراً؟

ـ قالت إن الحرارة تؤثر عليها، وإن الطقس هنا لا يناسبها.



كشر: «خلت هذا...»

قاطعته إيزابيلا: «هذا هراء ماثيو! إنها هنا منذ ثلاثة أشهر، ومرت أكثر الأيام حرارة دون أن تتأثر أبداً. حتى وقت ما.

ـ يوم الأحد الأخير.

ـ لم تعد هي نفسها أبداً.

ـ ربما أرهقتها الحرارة بالتدريج نونا.

ـ أو ربما أمر آخر ماثيو.

ضاقت عيناه: «ما هو؟ ولماذا جئت إليّ؟».

ـ قد أكون عجوزاً لكنني لست عمياء. ماثيو هناك شيء ما بينك وبين نيكول فهي شديدة التوتر في وجودك وأنت بالتأكيد لست غير مهتم بها.

ـ وهل تلومينني للخيار الذي اختارته؟

أطلقت السؤال عليه مباشرة: «ألا تشعر بأن لك علاقة بخيارها هذا؟».

ارتفعت يداه في إشارة نفاد صبر: «حاولت أن أجعلها أكثر راحة معي، لكنها لم تتقبل ذلك».

ـ ربما تريد منك أكثر مما عرضته عليها. إنها تحبك ماثيو.

ـ ماذا؟

هزت إيزابيلا رأسها: «عندما تحب المرأة، يبدو ذلك عليها. لا يمكن أن أخطىء بهذا الشأن، ونيكول تتعذب لأجل ذلك».

وضغطت قبضتاه على المنضدة: «لكن...»

قاطعته لتتابع القول: «الحب لا يأتي سوى مرة واحدة في الحياة، ومن الغباء أن تخسرها ماثيو. لو لم ألاحظ ذلك الانجذاب بينكما لما تدخلت أبداً».

وسار حول المنضدة، وقد بدت الحيرة على وجهه: «أعترف بما بيننا من انجذاب، لكن.. لم تقل شيئاً عن الحب»

أخذت إيزابيلا نفساً عميقاً وقالت: «ربما أحست أن لديها أسباباً كي لا تقول لك ماثيو».

ولكن.. ولوّح في الهواء بيده: «حسناً، أنا لا أفكر بالزواج، ونيكول لا ترضى بأقل من ذلك».

- ربما يجب أن تفكر بماذا تشعر نيكول، إذا كنت تحبها عليك بالتحرك السريع.

وفكر أن جدته تمكنت من التغلب عليه. لقد نجحت خطتها وهو من ساعدها في ذلك: «آه.. نونا».

- إذا كنت تريد دوراً لك في حياتها، أنصحك بأن تتقدم بحذر شديد ماثيو، بحذر شديد.

وقفت بكل الوقار الذي يغلفها، متجاهلة الصراع الذي أثارته في حفيدها. وقالت: «تستحق نيكول رجلاً يحبها وأسرة تمنحها العطف والاستقرار. إنها فرصتك للتقرب منها. والوقت ليس مناسباً لأي تصرف متسرع أو غاضب ماثيو. إنه فقط وقت للاهتمام، للطف، وللتفاهم»

سارت نحو الباب، ولم يتحرك ماثيو ليفتحه لها. نظرت إلى الخلف نحوه، ورأت الصراع يدور على وجهه، وقد تملكه التوتر.

وهزت إيزابيلا رأسها... ماذا تستطيع أن تفعل أكثر من هذا؟ إنهما مناسبان لبعضهما تماماً. وعليهما أن يحلاّ مشاكلهما قبل فوات الأوان، كي لا يشعرا بالندم لبقية حياتهما.

في قرارة نفسها، شعرت بأن خطتها تكاد تنجح. لا شك أن ماثيو



سيزور القصر اليوم، وسيكون كل شيء على ما يرام. كل ما تأمله أن يتخذ القرار الصحيح

* * *



www.elromancia.com

# ١٧ ـ لا ترحلي

كانت الساعة تقارب الخامسة. واشترت نيكول لفافة من السكر النبات تمتصه خلال الرحلة غداً إضافة إلى زجاجات من المياه المعدنية. لقد بقيت لها ليلة واحدة أخرى في القصر

قادت السيارة في المدينة لآخر مرة وهي تعرف أنها ستشتاق إليها، وتريد أن تتذكر كل شيء فيها. قد تأتي مرة أخرى في المستقبل لتزور السيدة كينغ، إذا أرادت هذا وكانت فكرة تحطم القلب، ووخزت الدموع عينيها أكملت طريقها إلى القصر تريد أن تشاهد غروب الشمس منه للمرة الأخيرة.

كانت روزيتا في المطبخ حين أدخلت نيكول زجاجات الماء لتضعها في الثلاجة طوال الليل، وأعلنت مدبرة المنزل بلهفة الأم «لقد حضرت لك اللازانيا الخاصة بك للعشاء»

ولم تكن نيكول تشعر بالجوع لكنها ابتسمت لأنها تعرف أن روريتا تريد أن تقدم لها آخر وجبة: «أنا واثقة أنني سأتمتع بها»

ـ وسأوضب لك صندوق نزهات تأخذينه معك في الصباح

وجالت عيناها الضيقتان على وجه نيكول بقلق وتأمل «هل هناك شيء آخر أستطيع أن أفعله لك؟»

ـ لا، شكراً روزيتا! كنت ممتازة بالنسبة لي سأصعد إلى البرج الآن لأشاهد غروب الشمس



ـ آه، أجل إنه منظر رائع! لكن احذري أن لا تقعي فوق السلم، إنها درجات قديمة ومهترئة.

وأطبق الحزن على قلبها وهي تصعد الدرجات إلى البرج. ستشتاق إلى روزيتا وإلى اهتمامها الأمومي، فقد عاشت من دون أم للعديد من السنوات وقد غمرتها روزيتا بعطفها.

هناك الكثير لتفتقده.

لقد صعدت عدة مرات من قبل إلى شرفة مرتفعة في القصر، بعد إنهاء عملها اليومي. وذلك حين تحتاج إلى الاسترخاء وإلى فرصة قبل العشاء. كان المنظر رائعاً جداً... الأفق العاجي، البحر، الجبال، والسماء التي لا نهاية لها وكل الألوان.

سارت حول الجدار المكسو بالعرائش، لتستوعب المناظر المختلفة لآخر مرة، وتتوقف أخيراً عند منظرها المفضل المطل على خليج ديكنسون الصغير الذي تدخل إليه المراكب من البحر. امتدت حقول القصب في الناحية الأخرى، وصولاً إلى البحر. ومن ورائها بدت التلال التي تزداد سواداً والتي ستغوص الشمس خلفها.

بدا المنظر خلاباً. وفكرت بأم مخدومتها مارغريتا فاليري وهي تقف هنا في الأيام الخوالي، تراقب المراكب وهي تأتي من البحر وحقول القصب التي تحرق بعد الحصاد تراقب الشمس.. ولأول مرة خطر ببال نيكول أن ماث كينغ يحمل الدم الرائد ذاته، دم الذين بنوا هذا القصر والكثير غيره هنا في الشمال البعيد..

إنها لا تنتمي إلى أي مكان بينما لماث جذور عميقة جداً، تاريخ حقيقي، تاريخ ستكتبه بنفسها وستعطيه بهذا بعداً جديداً.

* * *

وصل ماث إلى أعلى البرج وتوقف ليجمع شتات نفسه كانت نيكول تقف في الطرف البعيد، وظهرها إليه. وكان من الواضح أن نظرتها مركزة على المنظر الذي تحبه جدته. بدا جسمها الطويل النحيل جامداً تماماً، يلفها شعور بالوحدة عليه أن يخترقه

غياب الشمس أضفى على شكلها وشكل شعرها الناري هالة مضيئة، وفكر أن هذا لمعان القوة الداخلية. شعر باندفاع قوي ليأخذها بين ذراعيه، لكنه ذكر نفسه بعناد أن ذلك قد يجفلها. وستقاوم نيكول القوة بالقوة.

غضبه منها تلاشى منذ ساعات، وشعر أن كرامته لا تساوي شيئاً إذا ما خسر هذه المرأة يجب أن يخبر نيكول بمشاعره نحوها، ويطلب منها أن تتزوجه.

أخذ ماث نفساً عميقاً، وناداها: «نيكول»

وقفز قلبها. هذا صوته! واستدارت غير مصدقة. لم يكن من المفترض أن يظهر هنا الآن مع ذلك، فها هو يسير نحوها مليئاً بالحياة وبقوة طاقته الحية فيجعل نبضها يتشتت ويرسل ضجيجاً في جسمها كله.

صاحت، ودماغها يقاوم الحقيقة التي لا تريد مواجهتها «ماذا تفعل هنا؟»

ـ آسف إذا كنت قد أجفلتك جئت بعد العمل لأرى جدتي ذكرت أمامي أنك مغادرة غداً.

ـ أجل، أنا مغادرة لا أحتاج للبقاء هنا لأقوم بالكتابة

وتذكرت متأخرة أنه يعمل في مكاتب شركته السياحية أيام الجمعة ولعنت نفسها لعدم توقعها مسبقاً إمكانية زيارة عفوية للقصر. لكن لماذا يصعد إلى هنا، يفتش عنها؟



توقف قرب الجدار تماماً على بعد ذراع منها واستدار ليواجهها وفي عينيه نظرة ملحة: «هل تغادرين بسببي أنا؟»

وخفق قلبها بجنون: «ولماذا تظن هذا؟ لقد قلت للسيدة كينغ.»

قال بسخرية متوحشة: «قد يكون هناك ما هو أكثر من حرارة الطقس والمرض. لقد أخطأت بتعريضك للضغط، فقد كنت أنانياً».

ها هو يفعل هذا مجدداً. وأدارت وجهها نحو الغروب، تتأمل احمرار الشمس، راجية أن تخفي بطريقة ما موجة الحرارة التي تتصاعد إلى عنقها، وتحرق خديها ولم يستطع تفكيرها أن يخرج برد غير مبالٍ. فقد كان الرد يغرق في الحقيقة التي قالها لتوه. فالحقيقة أنها عاشت في دوامة عذاب منذ التقت ماث كينغ.

تابع ماث بهدوء: «كنت مخطئاً كثيراً بشأنك وندمت على هذا. جعلتك تشعرين أنك مهددة مني. أتمنى أن تنسي كل شيء ونستطيع البدء مجدداً».

هذا مستحيل! الندم لا يغير شيئاً، ولو أن اعترافه على الأقل يخفف قليلاً من وطأة عذابها. لكن ليس هذا فقط ما تريده.

ـ أنا مبتهج لأنك لم تعودي تسيئين الظن بي

وقوت نفسها لتنظر إليه مرة أخرى: «دعنا نترك الأمور عند هذا الحد».

اشتبكت عيناه بعينيها بقوة. «لا أستطيع! لا أريدك أن تذهبي نيكول»

هزت رأسها وقد شعرت بالمشاعر الفجة في عينيه وصوته. تقلصت معدتها احتجاجاً: «أرجوك، لا فائدة».

جادلها بعنف. «تمنيت أن يكون له فائدة! لقد كنا معاً. مناسبين»

الرغبة؟ وانكمشت مبتعدة عنه.

ارتفع ذراعه: «انتظري! أعرف أنني أفسدت كل شيء وكان غباء مني أن أخفي عنك حقيقة مشاعري، فقد رغبت بك لكنني حاولت ألا أتعلق بك».

صاحت: «أنا.. أنا لست طعماً»

قاطعها متنهداً بطريقة حملت كثيراً من السخط: «ظننت أن جدتي..»

- ماذا عن جدتك؟

كشر: «نونا تحب تدبير الزيجات. لقد وجدت جينا لأليكس ودعتها إلى القصر لتغني في عرس. واستأجرت هانا كطباخة في مركب طوني، لتزوجهما. أعرف أنها تريد أن تتزوج نحن الثلاثة، وأن يكون لنا عائلات. وأعتقد أنها اختارتك لي».

نظرت إليه غير مصدقة تماماً «هذا.. هذا جنون!».

أطلق تكشيرة أخرى: «ليس بالجنون الذي تبدو عليه».

- ألا تظن أنه قد يكون لي رأي بشأن الزواج؟

بدا مرتبكاً، ومرر يده في الخصلات المشدودة فوق أذنه وقطب: «أحاول أن أشرح لك. أردت أن تفشل خطتها، وحين تذكرت أنني رأيتك في نيوأورلينز».

اتهمته بحرارة: «أجل، ألفت سيناريو ووضعتني في خانة الزوجة غير المناسبة أبداً»

واعترف بعنف: «أجل، وتمسكت بكل عذر أمكنني التفكير به، ولم استطع الاعتراف بالشعور الذي أحسست به نحوك. كنت عنيداً ومصمماً أن لا أقع في فخ نونا للزواج. والآن أدرك أن لا علاقة لها، فقد شعرت بالانجذاب نحوك منذ عشر سنوات»



سألت وقد أربكها تفسيره السابق لعملها هناك: «أتعني في نيوأورلينز؟».

- لاحقت جولتك السياحية تلك الليلة، لمجرد أن أراقبك وأستمع إليك. ولو لم أكن سائحاً.. ولو استطعت لقاءك بطريقة لائقة.. لكن وقتي هناك كان على نهايته، وقلت لنفسي إن هذا مجرد خيال.

تمتمت مذهولة لهذا الانقلاب في نظرته إليها: «أمر لا يصدق».

- لقد تباعدت طريقانا في الحياة عند تقاطع طرق. لكن هل يجب أن يستمر هذا الآن نيكول؟

وانطلق الألم في داخلها فتقاطع الطرق أسوأ الآن. إنه لا زال يتحدث عن التجاذب والرغبة ولم يقل شيئاً عن الحب والزواج.. فهو لا يريد أن يقع في الفخ.

نظرت إليه آملة، ممزقة المشاعر. وضغط سكوتها عليه للمزيد من الكلام. بدت لهفته إلى إقناعها في كل كلمة تلفظ بها: «حين قرأت كتابك، أدركت أي مغفل كنت حين جرحت كرامتك وشككت بقدرتك على فعل أي شيء تقررين أن تفعليه. لم أكن أقصد إيلامك، وأنا آسف لأنني فعلت. آسف حقاً!».

الحرارة في صوته عصفت في قلبها، وعصرته. وانتزعت نظرتها من نظرته.. مخافة أن تتمسك بخيط أمل خادع.

قالت بصراحة، تنظر إلى غيمات طويلة حمراء في السماء: «أنا أغفر لك ذلك الألم، وليس عليك أن تقلق».

- وتلك الليلة في بريزبين..

أجفلت، وقوت نفسها غريزياً مخافة أن تغلبها مشاعرها وتفسد قرارها.

قال بنعومة: «لقد تجاوبت مع عناقي جيداً نيكول. لقد أردتني

بقدر ما أردتك».

- أجل أردتك، لا أنكر ذلك.

كان مصمماً على إثارة المشاعر التي تشاركاها معاً في حرارة اللحظة. أغمضت عينيها مصممة على عدم إظهار ضعفها.

قال ماث باقتناع تقشعر له البشرة: «كما لو أننا خلقنا لبعضنا، متناسبان تماماً. لقد أثرت فيّ أحاسيس لم أشعر بها من قبل».

صرّت نيكول على أسنانها، وذكرت نفسها: إنها رغبة جسدية فقط.

- لقد أردتك بكل حواسي شعرت بأن عناقنا أبعد من أي معنى جسدي. ولأن الأمر كان لا يصدق كنت متلهفاً لأكرر التجربة.

قاطعته: «حسناً! أنا أيضاً لم أتوقع تلك المشاعر..».

واستدارت بغضب شديد عنه، يائسة لإنهاء المقابلة: «أنت لم تكن ترغب في الخيار الذي رمته جدتك في وجهك، أفهم هذا الآن. وأنا لا أريد علاقة عابرة معك»

- وأنا كذلك.

- إذن، ماذا تريد؟

أخذ نفساً عميقاً لكن نظرته لم تتحرك ولو قليلاً عن النظرة غير المصدقة في عينيها: «أحبك نيكول! أحبك! صورتك لا تفارق تفكيري ليل نهار ليتك فقط تتوقفين عن إبعادي عنك، فسأظهر لك أنني قادر على العناية بك مهما كانت حاجاتك سأليبها».

نظرت إليه كالبلهاء شعرت وكأن عقلها قد تجمد للمفاجأة. وخرجت الكلمات من ظلام الشك: «لكنك بالكاد تعرفني».

- نيكول! لقد قرأت أجزاء من كتابك مرات ومرات

خطا إلى الأمام، ولامست يداه خديها بلطف وعيناه تحرقان



عينيها، كما أحرقت أصابعه الناعمة بشرتها، كأنها تسعى إلى تعذيب روحها

- لمَ كل هذا؟ لماذا تحاول منعي من السفر؟

رد بحرارة: «لأنني أحبك».

وصدمها، وصدم نفسه بقوة مشاعره.

نظرا إلى بعضهما. واندفع ماث يقول بكل شراسة المقاتل الملىء بالتصميم: «أردت أن أعطيك الوقت لتحبيني، وأعرف أنني لم أفعل هذا بعد لكنني سأفعل، سأفعل!».

لم تكن نيكول قادرة على تصديق أذنيها. «أنت.. تحبني؟»

- لقد أحببت الطفلة التي كان لديها الشجاعة لتقود والدها من الظلمة التي كان في خطر الوقوع فيها، وأحببت المرأة الشابة التي قادت حياته بقدر ما استطاعت من قوة. كنت تشعين في القصة كلها.

احتجت بشيء من الهمس:

- لم تكن القصة عني.

- لكنها تكشف خفايا قلبك، قلب لا يدع للرجل سبيلاً كي لا يحبه.

ابتلعت ريقها بقسوة: «ربما.. ربما أنت تظن هذا، لكن الإحساس به شيء مختلف».

- وكيف تشعرين بهذا؟

رفع ذقنها، وكانت مندهشة جداً لدرجة أنها كانت على استعداد للتجاوب معه قبل أن يطالب بذلك. التف ذراعاه حولها واحتضنها ليغرقها في عناق ذابت له عظامها. واستسلمت لعناقه لأنها كانت بحاجة كي تعرف حقيقته قبل أن تعترف بحقيقتها

وعاد ماث ليتمتم: «أحبك. وأحب كل شيء فيك»

وابتسم بفتنة وهو يداعب الشعر وراء أذنيها: «شعرك مثل شعاع مترف يجذبني كانجذاب الفراشة إلى اللهب».

وتسللت يداه إلى كتفيها: «أحب الطريقة التي تجملين بها نفسك إنها تصيح: «أنا امرأة» وأنا فخورة كوني امرأة لذا يجب أن تكوني فخورة بكل ما أنت عليه نيكول».

فكرت: وأنا فخورة، لا أخجل من شيء! لكن مشاعري نحوك تربكني.

وكأنما قرأ أفكارها. فقد أزالت كلماته التالية الدرع الذي حاولت وضعه حول قلبها.

- النظرة إليك تثيرني ببساطة وكأنما تبدأ كل مشاعري بالهمس هذه هي المرأة المناسبة لي. وهذا يحدث في كل مرة أراك فيها، إنها مشاعر قوية جداً لا أستطيع السيطرة عليها، يمكنك تسميتها بالبدائية! وأؤمن أنها موجودة عندك كذلك نيكول.

وهز رأسه ليمحو أي أفكار قد تجعلها مترددة: «لو أنك لا تبادليني الشعور، لما سمحت لي بمعانقتك، ولكنت طردتني من غرفتك لقد كان الأمر مناسباً لنا، وهذا ما يجب أن يكون بيننا حتى آخر لحظة. ربما كانت الأمور أسهل لو لم أضع أنا العراقيل في علاقتنا».

هل ينطق بالحقيقة؟ لو لم تشعر بالعدوانية منه في أول لقاء بينهما، لو لم يكن عنيفاً إلى هذا الحد ومتحدياً، على الأرجح أنها كانت ستقع في حبه على الفور. وأخرجت تلك الليلة من تفكيرها، فقد كرهت تهجمه عليها، كرهته... مع ذلك، أحست أن الأمر بينهما يمكن أن يكون رائعاً بعد عناقه لها في الفندق، حتى رنين جرس الهاتف. أيمكن أن يكون الأمر هكذا لو..

قال بلهفة: «كل ما أطلبه هو أن تبقي هنا، ولنبدأ من جديد».



كان شعاع الشمس الذهبية مشعاً فوق التلال القاتمة، ونور ما بعد الغروب يغمرهما. وتحولت السماء إلى اللون القرمزي.

فهمست نيكول مقطوعة الأنفاس: «أنا.. أيضاً... أحبك».

- استمعي إلى قلبك إذاً! فأنت لا تريدين أن تكوني وحيدة. تريدين البقاء معي، فأنا الرجل الذي سيعتني بك، أنا الرجل الذي سيبقى دائماً إلى جانبك... وقبل أي شيء أنا الرجل الذي يحبك.

أمسك ذراعيها، وعيناه تلمعان بإرادة لا تتزعزع: «أوقفي كل هذه المقاومة المدمرة نيكول، واعترفي أننا متناسبان تماماً، وكأننا خلقنا لبعضنا».

غمرتها حرارة حبه بمشاعر مليئة بالتناغم في كل خلية من جسدها

اعترفي!

إنها تريد أن تكون زوجة ماث كينغ، تريد أن تصبح جزءاً من هذه العائلة غير العادية وتريد أن تنتمي إلى هنا.

- لكنك قلت إنك لا تريد الوقوع في فخ الزواج

- بل سأسير إليه مباشرة وعيناي مفتوحتان.

* * *

عزيزتي أليزابيث

أكتب لك هذا بكثير من الفرح... بالأمس ولدت نيكول صبياً جميلاً، وسنسميه ستيفان على اسم أبي. نيكول مصرة على هذا فلديها إحساس قوي بتقاليد العائلة، وهذا مريح جداً لي. أعرف الآن أنني حين أرحل سيكون هناك من يحافظ على كل ما حاولت بناءه في هذا المكان، وهذا له معنى كبير لي.

كل يوم تكتب نيكول ورقة من تاريخ العائلة، وأشعر بحبها لما تكتب، وأشعر بهذا الحب في كل صفحة، حتى بطريقة توزيعها للصور وآمل أن تضيف إلى ذلك التاريخ الأيام القادمة، خاصة الصورة التي سأرفقها مع هذه الرسالة. آه.. الحب والسعادة يبدوان على وجه ماثيو، وهو ينظر إلى زوجته وطفله الوليد، ونيكول تشع بالمشاعر ذاتها في وجهها وهذا يدخل السعادة إلى قلبي.

هذا زواج مبارك حقاً. لقد رأيتهما في العرس، بينهما حب عظيم، ولن يكون هناك ما يكدّره.

يمكن أن أستريح قانعة الآن، أليساندرو وأنطونيو وماثيو لديهم الشريكات المناسبات، وها أنا جدة أربعة أحفاد! صبيان وابنتان

لا شيء مثل العائلة بالنسبة لي إنها حجر الأساس لحياتنا، لماضينا، حاضرنا، ومستقبلنا. وأنا أعرف أنك تشعرين بهذا وأتمتع بمراسلاتنا كثيراً، وأريد أن أشكرك مرة أخرى لنصائحك الحكيمة في



كل ليلة أستلقي في السرير وأفكر بجناحي العائلة: أنت في كمبرلي، وأنا هنا في الشمال البعيد. سأذهب الآن إلى النوم وأنا أبتسم.

مع حبي

إيزابيلا فاليري كينغ.



www.elromancia.com